سورية في عصور ما قبل التاريخ

د . سلطان محيسن
جامعة دمشق

مقدمــــة :

ان علم ما قبل التاريخ Préhistoire من العلوم الحديثة نسبيا وهو يعتمد في مادة بحثه على البقايا الاثرية التي خلفها لنا الانسان قبل ان يعرف الكتابة(١) وهذه المخلفات في معظمها أدوات حجرية أو عظمية ، لم تثر في البداية الاهتمام اللازم ، بل أنها فسرت باعتبارها من صنــع الطبيعة والصواعــق او من عمل الشياطين الى ان جاء منتصف القرن التاســع عشــر وأثبت الفرنســـي بوشيه دوبرت (Bouchér de Pérthes) ان هذه الادوات ما هي الا أسلحــة صنعها الانسان القديم واستخدمهــا في وظائف مختلفة ، منها صيد الحيوانات الكبيرة كالدب ووحيد القرن ، التي وجدت عظامهــا مقرونــة بتلك الادوات(٢) وبذلك فتحت الاعين وبشكل جدي على أثــار انسان ماقبل التاريــخ الذي أصبح وجوده حقيقة لا جــدال فيها . وقــد دعمت استنتاجــات دوبرت اكتشافات معاصرة او لاحقة أتت معظمها من فرنسا(٣) وترافق ذلك مــع نشر كتاب داروين الاول عن اصل الانواع(٤) الذي تبنى فيه نظرية التطور Evolution التي أثارت في حينه جدالا شديدا مازال مستمرا بصيغ اخرى . ومنذ مطلــع القرن الحالي بدأت دراسات وتنقيبات ، تبعتها مؤلفات ، أكثر منهجية ودقة شارك فيهــا باحثون مختلفون(٥) . ومازال البحث قائما بعد ان تطورت المناهج والاساليب الى حد كبير وأصبحت أقرب الى مناهج العلوم الطبيعيــة كالفيزيــاء والرياضيات(٦) . كما بدأت تتبلور منذ الستينات مدرسة ونهج جديدان في دراسة انسان ما قبل التاريــخ وحضارته ، مما يسمى الان بعلم الاثار الجديد (New Archaeology) وهو يدرس

الانسان ضمن اطاره الجغرافي القديم حسب منهج مختلف عن علم الاثار التقليدي(٧) وفي كل الاحوال فان الهدف الرئيسي للباحثين في عصور ما قبل التاريخ ، هو فهم وتفسير واقع مجتمعات تلك العصور للوصول الى تصور حضاري شامل ومتكامل لها. لقد تزايدت معلوماتنا عن الانسان الاول بشكل أصبح ممكنا اعادة رسم الصورة العامة للحياة الاقتصادية والاجتماعية لذلك الانسان ، الذي وضع الاسس المباشرة لحضارتنا الحديثة . لانه قام بالخطوات الاولى والاهم سواء في مجال ابتكار الاسلحة والادوات والبناء والفن والدين ، أو الزراعة والتدجين . لقد تميز القطر العربي السوري بأهمية خاصة في تلك العصور حيث كشف فيه عن مواقع رئيسية تعتبر المفاتيح الضرورية لدراسات انسان ما قبل التاريخ في منطقتنا وفي العالم .

اولا : تاريخ البحث في عصور ما قبل التاريخ في سورية :

لقد لفت النظر في سورية الى عصور ما قبل التاريخ بشكل متاخر اذ مر زمن طويل كان البحث فيه عن المدن التوراتية واثار الحضارات الكلاسيكية اليونانية والرومانية محط الاهتمام الاول . تعود المعلومات الاولى عن ما قبل التاريخ السوري الى مطلع هذا القرن وكانت نتيجة اعمال فردية بسيطة ومحدودة الاهمية(٨) لكن البحث الحقيقي والعلمي في هذا المجال بدأ في الثلاثينات ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى الان تخضع العصور الحجرية الى دراسات منوعة يشارك فيها اختصاصيون عديدون ممن قاموا بمسح عام او تنقيب محدد ويمكن ان نوجز تطور العمل في مراحل ثلاث رئيسية :

المرحلة الاولى : بدات في الثلاثينات ، وترافقت مع الاكتشافات الهامة في جبال الكرمل بفلسطين وتمثلها اعمال الباحث الالماني الفرد روستA. Rust في وادي سكفتا بيبرود(٩) حيث نقب ثلاثة ملاجيء صخرية رقمها ١ ـ ٢ ـ ٣ ، كان أهمها الملجأ الاول الذي ميز فيه عدة طبقات اثرية.. الدنيا فيها تؤرخ في عصر انسان الهومواركتوس (الباليوليت الادنى) بينما تعود الطبقات العليا الى الثقافات النياندرتالية (الباليوليت الاوسط)(١٠) ان الجديد والهام من الملجأ الاول هو النوع الجديد من الادوات والاسلحة الحجرية الذي لم يكن معروفا من قبل وقد سُمّي باليبرودي(Yabrodien)(١١) وفي الملجأ الثاني وجدت آثار تعود الى «الانسان العاقل» في الباليوليت الاعلى(الاورينياسية) بينما قدم الملجأ الثالث في طبقاته الدنيا اثارا من العصر الحجري الوسيط ، وفي الطبقات العليا وجدت اثار العصر الحجري الحديث . لقد نشر السيد روست نتائج تنقيباته في كتاب هام اسماه « لقى مغائر يبرود » وهو يعتبر المؤلف العلمي والمنهجي الاول الذي لفت نظر الباحثين الى الاهمية العالمية لقطرنا في عصور ما قبل التاريخ(١٢).

المرحلة الثانية : بدات في الستينات من هذا القرن على يد باحث هولندي هو السيد فان ليره Van Liere الذي قام بمسح اولي لاثار عصور ما قبل التاريخ حيث

اكتشف العديد من المواقع في مختلف مناطق القطر كان اهمها موقع اللطامنة الفريد من نوعه ، في حوض نهر العاصي ، الذي يمثل ارضية سكن (معسكر) بقيت محفوظة بشكل سليم رغم مرور اكثر من نصف مليون سنة عليها(١٣) . وقد كان السيد فان ليره اول من درس المواقع العائدة لعصور ما قبل التاريخ ضمن اطارها الجيولوجي والجيومورفولوجي العام محددا علاقتها بالاسرة او المصاطب النهرية العائدة الى الزمن الجيولوجي الرابع « الرباعي » (Quaternaire) (١٤) .

المرحلة الثالثة : بدأت في السبعينات وهي لا زالت مستمرة حيث تعمل في القطر بعثات مختلفة يشارك فيها اختصاصيون بوسائل علمية وفنية متطورة ، وقد أدت هذه الاعمال الى اكتشاف اكثر من /٣٠٠/ موقع عائد لعصور ما قبل التاريخ ، بعضها له اهمية خاصة كما في منطقة الكوم في البادية السورية والقرماشي في حوض نهر العاصي. وتدرس هذه المواقع بتطبيق المناهج المتقدمة كطرق التأريخ الحديثة والتحاليل المخبرية والحواسب الالكترونية وبمساعدة علوم اخرى كالجيولوجيا والانتروبولوجيا وعلم المستحاثات (البالنتولوجيا) ولا زال العمل مستمرا والكشوف في تصاعد مما يساهم في استمرار توضيح طبيعة عصور ما قبل التاريخ السورية ذات الاهمية المحلية والعالمية(١٥) .

ثانيا : الرباعي في سورية :

تعتبر الابحاث الرباعية ، الجيومورفولوجية ، اي دراسة التشكلات الجيولوجية التي حصلت في الزمن الرابع ، ذات اهمية قصوى في فهم عصور ما قبل التاريخ ايضا وخاصة العصر الحجري القديم (الباليوليت) لان الانسان ظهر في الزمن الرابع وضمن الطبقات الجيولوجية العائدة لهذا الزمن توجد الادوات الحجرية والاثار الاخرى لهذا الانسان . كما انه في الرباعي ثبت توزع اليابسة والمحيط واستقرت البيئة على شكل قريب من الان . لقد بدأ الرباعي منذ حوالي ثلاثة ملايين سنة ودلت البحوث انه حصلت فيه تقلبات مناخية كبيرة حيث تتابعت على امتداد القسم الاول والاطول من هذا الزمن المسمى بالبليستوسن عصورجليدية ، جليديات Glaciations فصلتها عصور اخرى دافئة Interglaciations تركت اكبر الاثر على الانسان وحضارته لقد زحفت طبقات الجليد السميكة على نصف الكرة الشمالي حتى خط عرض ٤٠ ْ٥ عدة مرات متتالية ، وغطت هذه الجليديات أجزاء واسعة من اليابسة لتجعل الحياة عليها مستحيلة وتجبر الانسان على الهجرة جنوبا ليقيم على تخوم المناطق الجليدية حتى ذوبان الجليد في العصور الفاصلة ذات المناخ الدافىء الماطر المساعد على نمو الغطاء النباتي والحيواني الضروري لاستمرار الوجود البشري(١٦) .

اما نصف الكرة الشمالي ، الواقع بين خط عرض ٤٠ ْ٥ ــ ١٥ ْ٥ تقريبا . بما فيه

الشرق الاوسط وسورية فلم يعرف الجليديات بل انعكست التقلبات المناخية هنا على شكل عصور مطيرة دافئة (Pluvials) تقابل العصور الجليدية في نصف الكرة الشمالي، فصلتها عصور اخرى جافة (Interpluvials) تقابل العصور المطيرة في نصف الكرة الشمالي . لقد ظهرت الدلائل الجيولوجية للعصور المطيرة والفاصلة في سورية واضحة وخاصة في وديان الانهار وعلى السواحل على شكل مصاطب نهرية او شواطىء قديمة تشكلت في الرباعي . ففي وديان الانهار الهامة وروافدها ، اثناء العصور المطيرة ونشاط المياه القوى في الحت والترسيب ، تشكلت مصاطب او أسرة (terrasses) من الحصى والرمل والطمي متدرجة في ارتفاعها عن مجرى النهر الحالي وفي بعدها عنه . اقدمها أعلاها وابعدها عن النهر واحدثها أقربها الى النهر واقلها ارتفاعا . تقابل هذه المصاطب ، في المناطق الساحلية بقايا شواطىء بحرية قديمة (Paléorivages) ابعدها واعلاها عن البحر اقدمها ، بينما اقربها وأدناها هو الاحدث . لقد تضمنت المصاطب النهرية والشواطىء البحرية في ترسباتها بقايا ادوات حجرية ومستحاثات نباتية وحيوانية لانسان ما قبل التاريخ الذي ارتبط وجوده مع المياه وغير مناطق اقامته تبعا لتوفرها . وتعتبر هذه البقايا من أهم المواد المساعدة على دراسة آثار ما قبل التاريخ وتحديد زمن وطبيعة التقلبات المناخية والبيئوية الرباعية .

لقد عرفت سورية في الرباعي اربعة عصور مطيرة ، على الاقل ، تفصلها عصور اخرى جافة . وقد درست دلائل هذه العصور بشكل جيد وظهرت افضل آثارها في أحواض الانهار السورية وخاصة نهر الكبير الشمالي ورقمت التشكلات الرباعية حسب تسلسلها بدءا من الاحدث حسب الرموز العالمية المتفق عليها . واعطيت تسميات محلية خاصة لتمييزها عن غيرها ، بل انها اصبحت النموذج الذي تقاس عليه الدراسات الرباعية في المنطقة كلها(١٧) ، ويمكن ايجاز العصور المناخية السورية بدءا من الاحدث كما يلي :

ـ عصر الهولوسن الدافىء (ر ب صفر أو ر ن صفر) ولهذا العصر تعود تشكلات السهول الرسوبية لوديان الانهار او الشاطىء البحري مباشرة ومعظمها اراض زراعية خصبة . وضمن هذه التشكلات نعثر على احدث آثار عصور ما قبل التاريخ التي لا يزيد عمرها على نحو ١٢ ألف سنة . وهي تعود الى العصر الحجري الوسيط والحديث والعصر الحجري النحاسي والى العصور البرونزية .

ـ عصر الشير او العصر المطير الاول (ر ن ١) : ويتمثل بشكل رئيسي في حوض نهر الكبير الشمالي (موقع الشير) وفي احواض العاصي والفرات . وضمن السويات العليا من هذه المصطبة النهرية توجد ادوات حجرية تعود الى العصر الحجري القديم الاعلى (الباليوليت الاعلى ٣٥ ـ ١٢ الف سنة) بينما في السويات الدنيا نعثر

على ادوات من العصر الحجري القديم الاوسط (الباليوليت الاوسط ١٠٠٠٠٠ – ٣٥٠٠٠) وهذه هي مصطبة عصر البليستوسن الاحدث والاقل ارتفاعا والاقرب الى مياه النهر ولا يفصلها عن النهر الا السهل الرسوبي الهولوسيني .

– عصر بانياس او العصر الفاصل الاول (ر ب ١) : ظهرت اثاره في منطقة بانياس على الساحل السوري . وجدت ضمن ترسبات هذا الشاطىء القديم ادوات حجرية تعود الى العصر الانتقالي بين الباليوليت الاعلى والباليوليت الاوسط (١٥٠٠٠٠ – ١٠٠٠٠٠ سنة) .

– عصر ابو جمعة او العصر المطير الثاني (ر ن ٢): افضل دلائله اتت من حوض نهر الفرات (موقع ابو جمعة) في محافظة دير الزور ومن احواض نهر الكبير الشمالي والعاصي ، وضمن ترسباته وجدت ادوات حجرية تعود الى زمن يقع بين ٢٠٠٠٠٠– ١٥٠٠٠٠ سنة ، أو ما يسمى عالميا بالعصر الاشولي الاعلى(القرماشي في سورية).

– عصر هنادي – خلاّلة او العصر الفاصل الثاني (ر ب ٢) : وهو يمثل أفضل تشكيلة بحرية جيومورفولوجية محفوظة فيسورية ، تدل على شاطىء قديم للبحر المتوسط افضل بقاياه وجدت في منطقة هنادي وخلاّلة في محافظة اللاذقية ، وضمن ترسبات هذا العصر عثر على أدووات صوانية تعود الى حوالي ٣٠٠٠٠٠ سنة ، أي الى القسم الثاني من العصر الاشولي الاوسط (الاشولي الاوسط المتطور) .

– عصر اللطامنة او العصر المطير الثالث (ر ن ٣) : وافضل ظهور له هو في نهر العاصي (موقع اللطامنة) ثم حوض الفرات ونهر الكبير الشمالي . وضمن تشكلات هذا العصر وجدت ادوات حجرية تعود الى القسم الاول من العصر الآشولي الاوسط (ويسمى الآشولي الاوسط) أهمها أرضية السكن الشهيرة في اللطامنة المؤرخة في حوالي ٥٠٠٠٠٠ سنة (عصر اللطامنة).

– عصر بكسا او العصر الفاصل الثالث(ر ب ٣):اتت تشكلاته من عدة مناطق من الساحل السوريوخاصة من بكسا في اللاذقية ، وفيها وجدت اثار تعود الى القسم الثاني من العصر الآشولي القديم (الاشولي القديم المتطور) والمؤرخ في حوالي ٧٠٠٠٠٠ سنة خلت .

– عصر ست مرخو او العصر المطير الرابع (ر ن ٤) : افضل دليل عليه اتى من حوض نهر الكبير الشمالي وضمن ترسباته في موقع قرية ست مرخو في محافظة

اللاذقية ، حيث وجدت اقدم ادوات حجرية معروفة في سورية حتى الان وهي تعود الى حوالي مليون سنة خلت ، اي بداية الاشولي العالمي وهي بذلك أقدم آثار لانسان ما قبل التاريخ عثر عليها حتى الان خارج القارة الافريقية .

بقي ان نشير بان هناك دلائل لعصر مطير خامس في حوض العاصي وآخر (رابع) جاف في الساحل يعودان الى بداية الزمن الرابع الا ان التشكلات الجيولوجية لهذين العصرين لم تتضمن أدوات حجرية ، مما يدل على ان حصولهما كان قبل وصول الانسان الى سورية(١٨) .

ثالثا : مراكز حضارات العصر الحجري القديم « الباليوليت »

بدأ هذا العصر في سورية منذ حوالي مليون سنة مضت وانتهى منذ حوالي ١٢٫٠٠٠ سنة ق.م. وهو عصر الصيد والالتقاط ، ونظرا لزمنه الطويل وللتمايز بين مختلف مراحله يقسمه المختصون الى ثلاثة اقسام أصغر هي العصر الحجري القديم الادنى ، ثم الاوسط واخيرا الاعلى .

١ ـ العصر الحجري القديم الادنى « الباليوليت الادنى »

بدأ منذ نحو مليون سنة وانتهى في حدود ١٠٠٫٠٠٠ سنة خلت ، وهو يرادف ما يسمى بالحضارة الاشولية ، او الاشولي ، ذات الانتشار العالمي الواسع ، لقد سكنت ومنذ بداية هذا العصر بعض مناطق سورية من قبل انسان الهوموازكتوس الذي وصل الى قطرنا ، قادما على الارجح من القارة الافريقية ، سالكا طريقين رئيسين: الاول ساحلي على امتداد البحر المتوسط والثاني داخلي عبر وديان الانهار الكبرى : وادي عربة ، وادي الاردن ثم الليطاني فالعاصي . ان كل ما نعرفه عن انسان سورية الاول يأتي من خلال الادوات والاسلحة الحجرية التي صنعها واستخدمها في انشطته المختلفة وبقيت ، مقاومة عوامل الفناء ، لتشكل الدليل المادي والمباشر عليه . اهم هذه الادوات هو الفأس اليدوية (Biface) ، الاداة الرئيسة في الباليوليت الادنى ، صنعت منها أشكال مختلفة واستخدمت في وظائف متعددة كالقطع والقلع والضرب والدفاع عن النفس . لقد تطورت قدرة الانسان على تصنيع الادوات الحجرية على امتداد الباليوليت ونحن نستطيع من خلال هذه الادوات متابعة تطور انسان سورية الاول عبر مختلف مراحل هذا العصر الذي نقسمه بدوره تسهيلا للبحث الى الباليوليت الادنى الباكر ، الباليوليت الادنى الاوسط ثم الباليوليت الادنى الاخير .

آ ـ الباليوليت الادنى الباكر :

وهو يوازي مرحلة الاشولي الادنى ويؤرخ في زمن يقع بين مليون الى ٧٠٠٫٠٠٠

سنة خلت . اتت آثار هذا العصر من بضع مناطق في قطرنا وكانت متوضعة ضمن الطبقات الجيولوجية للسرير النهري الرابع (ر ن ٤) ، (عصر ست مرخو او تشكيلة ست مرخو) وقد عثر على الادوات الحجرية العائدة لهذا العصر في موقع ست مرخو نفسه وفي الشيخ محمد فيحوض نهر الكبير الشمالي(١٩) . ومعظمها فؤوس يدوية بسيطة وقواطع وادوات اخرى أصغر حجما ، صنعت كلها باستخدام المطرقة الحجرية الفأسية ، وكانت متآكلة بشدة وعليها كمخة سميكة تشير الى قدمها السحيق اذ تعود الى حوالي مليون سنة خلت . وهي ، كما اشرنا سابقا ، تمثل الدليل الاقدم على وجود الانسان في سورية وخارج القارة الافريقية . في الوقت نفسه تقريبا سكن حوض نهر العاصي ولكن من قبل جماعات بشرية اخرى لم تعرف الفأس اليدوية بل استعاضت عنها بأدوات صنعتها من الشظايا الصغيرة . وهذا النوع من الادوات يسبق زمنيا الفؤوس اليدوية ولكننا ، بسبب ندرة الدلائل ، لا نستطيع التقرير فيما اذا كان انسان الساحل السوري قد طور فؤوسه اليدوية من ادوات انسان العاصي ام انه عرف تصنيع تلك الفؤوس قبل وصوله الى هنا .

ب ـ الباليوليت الادنى الاوسط :

وهو يوازي مايسمى بالاشولي الاوسط ويؤرخ على ٧٠٠ ـ ٢٥٠ الف سنة في هذا العصر توضحت استقلالية الانسان السوري الاول وظهرت حضاراتمحلية اصيلة تطورت باشكال مختلفة في مختلف المناطق السورية الساحلية او الداخلية . لقد استمر الناس بالاعتماد على الفأس الحجرية كسلاحرئيسي بعد ان طوروها وأعطوها أشكالا جديدة . وصنعت كل منطقة فؤوسها الخاصة فبينما استخدمانسان العاصي الفاس اليدوية الطويلة والمدببة فضل سكان السواحل الفأس العريضةذات الشكل البيضوي، وكما في العصر السابق وجدت جماعات بشرية اخرى لم تستخدم الفؤوس على الاطلاق بل صنعت القواطع والادوات الصغيرة ، بعض هذه الجماعات عاش في حوض نهر العاصي في الرستن وبعضها الاخر وصل الى حوض الفرات في موقع شنينة . ان هذا التباين في تقاليد تصنيع الادوات الحجرية معروف ايضا في فلسطين والاردن ولبنان (٢٠) مما يدل على اننا نتلمس ومنذ هذا الزمن الباكر بوادر تجانس حضاري شمل المشرق العربي القديم كله لا تلبث صورته ان تتبلور في العصور اللاحقة . الى الشمال من مدينة حماه وعلى بعد ٤٠ كم في حوض العاصي قرب اللطامنة يقوم أحد اهم واندر مواقع هذا العصر في العالم حيث عثر في طبقة من الرمل والطمي الناعم في ترسبات السرير النهري المرتفع العائد الى العصر المطير الثالث (عصر اللطامنة ر ن ٣) على بقايا معسكر سليم سكنته جماعة من صيادي الحيوانات الوحشية كالفيل

والحصان ووحيد القرن ، وملتقطي الثمار البرية كاللوز والزعرور وذلك منذ حوالي نصف مايون سنة مضت . لقد عاش هؤلاء في حوض نهر العاصي الفني وعرفوا تصنيع الاسلحة والادوات وخاصة الفؤوس الكبيرة الفعالة وبنوا ، لاول مرة خارج افريقيا، الاكواخ البسيطة من الاغصان والجلود ودعموها بالاحجار الكبيرة كما عرفوا الاستفادة من النار منذ ذلك الزمن الباكر(٢١) . ان اللطامنة هو الموقع الوحيد في سورية ، وفي المشرق العربي كله ، المحفوظ بشكل جيد من هذا العصر كما ان المواقع العالمية المشابهة له لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة علما بان الادوات الحجرية الكثيرة التي أتت من العديد من المناطق في قطرنا تدل على وجود اكثر من موقع لكن عوامل الطبيعة خربتها .

جـ ـ الباليوليت الادنى الاخير :

وهو يوازي مرحلة الآشولي الاعلى ويؤرخ بين ٢٥٠,٠ ـ ١٠٠ الف سنة خلت . في هذا العصر يلاحظ ازدياد واضح في عدد سكان سورية حيث خرجت الجماعات البشرية الاولى من مواطن سكنها التقليدية في السواحل وحوض نهر العاصي واتجهت شرقا نحو مناطق جديدة في البادية والفرات بعد أن تمكنت من استخدام النار ومن بناء الاكواخ البسيطة . وبدءا من هذا العصر أقام الانسان ، وبلا انقطاع ، في كل المناطق الجغرافية في قطرنا . وبقيت الفاس اليدوية السلاح الاكثر استخداما . ولكن هذه الاداة تحسنت الى حد كبير حيث استخدمت في تصنيعها المطارق الناعمة من العظم والخشب مما أعطاها أشكالا أكثر انتظاما . وساد في كل المناطق السورية بل وفي المشرق العربي القديم نوع واحد من الفؤوس يشبه اللوزة أو القلب في شكله(٢٢) ترافقه أدوات أخرى كالمخارز والمكاشط والسكاكين بلغت القمة في الدقة الى حد يتجاوز الحاجة الفعلية والوظيفية المخصصة لها . وتعتبر هذه الادوات الجميلة حسب رأي البعض الدلالة الاولى على نمو الحس الفني والجمالي لدى تلك المجتمعات التي تناقلت تصنيع أدواتها من جيل الى جيل ، بعد ان اصبح لديها لغة متطورة بلا شك . لقد وجدت آثار هذا العصر بكثافة كبيرة ضمن التشكيلات الجيومورفولوجية العائدة الى العصر المطير الثاني المسمى تشكيلة ابو جمعة او عصر ابو جمعة (ر ن ٢). وفي كل مناطق القطر تقريبا بدءا من الساحل وحتى الفرات الا ان معظم هذه الاثار ، كما في العصور السابقة ، اتى من مواقع مخربة جرفتها المياه من مكانها الاصلي الا في حالة واحدة ونادرة وهي موقع القرماشي في حوض نهر العاصي الاوسط الى الغرب من حماه حيث عثر على معسكر غير مخرب هجره سكانه منذ حوالي ١٥٠,٠٠٠ سنة خلت واظهرت التنقيبات انهم عرفوا تصنيع الفؤوس الحجرية الرائعة بل بنوا

الاكواخ البسيطة واستخدموا النار ، واستفادوا مثل أسلافهم في اللطامنة ، من خيرات وادي العاصي الحيوانية والنباتية الغنية في ذلك الوقت (٢٣) .

د ـ العصر الانتقالي بين الباليوليت الادنى والاوسط :

في أواخر الباليوليت الادنى اي نهاية مجتمعات الهوموار كتوس وبداية الباليوليت الاوسط ، اي وقت ظهور انسان النياندرتال ، وهو زمن يقع بين ٠٠٠ر١٥٠ ـ ٠٠٠ر١٠٠ سنة ، في هذا العصر ساد نوع انتقالي من البشر يسميه المختصون الهوموار كتوس المتطور او انسان ما قبل النياندرتال ، لقد حصلت في سورية والمشرق العربي القديم تغييرات عاصفة شكلت السمة المميزة لهذا العصر الانتقالي، وقد اختلفت التفسيرات حول أسباب ودوافع هذه التغييرات وفيما اذا كانت تقترن بظهور اقوام جديدة أم أنها مجرد تحولات داخلية في اطار المجموعات العرقية المحلية . ومهما يكن فلم يعد صناع الفؤوس اليدوية الذيناسميناهم اصطلاحا بالآشوليين يسيطرونبلا منازع، بل ظهرت الى جانبهم حضارات اخرى جديدة (اقوام جديدة) تعايشت كلها في نفس الزمان والمكان . ولكن كان لكل منها أدواتها وأسلحتها الخاصة وطرقها المميزة في العيش كما اتضح في كل المناطق السورية (٢٤). لقد نما لدى انسان هذا العصر حس اكبر بالارتباط بالارض وبدل المواقع الصغيرة التي سكنت لمدة قصيرة لا تزيد عن موسم او موسمين ، مثل اللطامنة والقرماشي سابقا ، نجد الاجيال خلف الاجيال تتعاقب على الاقامة في المكان نفسه وأفضل دليل على ذلك هو ملاجىء سكفتا في يبرود وخاصة الملجأ الاول الذي سكن على امتداد زمن زاد عن ٠٠٠ر١٥٠ سنة، حيث ترددت على هذا الملجأ نحو ٢٥ مجموعة بشرية لكل منها حضارتهاالخاصة، ومنأكثرهاأصالة كانت الجماعات اليبرودية التي دلت عليها أدواتها الحجرية . لم يعرف «اليبروديون» الفأس اليدوية الا نادرا بلاشتهروا باستخدام المقاحفالغليظة « المقحف اليبرودي » ذات الاشكال المنوعة والمصنعة غالبا من شظية حجرية عريضة وقصيرة لكنها سميكة لها حدان عاملان يلتقيان بزاوية قائمة أو حادة ومحضران بواسطة تشذيب واسع ومتدرج على شكل حراشف السمك(٢٥) ، ان المقحف هو الاداة الافضل لتحضير الجلود ووجود هذه الاداة بكثرة في يبرود ، وفي مواقع هذا العصر عموما ، يجعلنا نعتقد بان الانسان بدأ يرتدي هذه الجلود ويفرش بها مساكنه ، ليس فقط درءا للبرد بل وبدوافع معنوية ورغبة بالظهور بالشكل الافضل بعد ان تطور المستوى الاجتماعي للناس . وقد دلت البحوث على ان الحضارة اليبرودية قد سادت على امتداد هذا العصر الانتقالي وغطت مساحة واسعة امتدت من فلسطين والاردن ولبنان جنوبا وحتى البادية السورية شمالا مما يؤكد مرة اخرى على التجانس الحضاري للمنطقة كما نوهنا سابقا . ومن يبرود أيضا ، ولكن من الملجأ

الرابع ، أتت آثار مختلفة تماما عن التي وجدت في الملجأ الاول حيث لم يصنع سكان هذا الملجأ المقحف اليبرودي بل الادوات المسننة والمفرضة والسكاكين ذات الظهر السميك . كما اصطادوا الحصان البري ووحيد القرن والوعل والدب والغزال وغيرها من الحيوانات التي كانت تعيش في هذه المنطقة بجوار بحيرة قديمة حفظت لنا ترسباتها آثارا هامة ونادرة حيث وجدت في طبقات الطمي الناعم البيوض المتحجرة وطبعات طيور وحيوانات وزواحف والاهم من ذلك طبقة كف لانسان النياندرتال الباكر (أو ما قبل النياندرتال) هي الاولى من نوعها في قطرنا وفي المنطقة(٢٦) . واضافة الى يبرود ، تجري الان اعمال تنقيبية هامة في حوضة الكوم في البادية السورية تعرفنا بشكل افضل على سمات هذا العصر الانتقالي(٢٧) . لقد عاشت هنا جماعات بشرية كثيفة وعديدة استفادت من خبرات المنطقة الوفيرة حيث تردد السكان على العديد من الينابيع الطبيعية التي جف بعضها الان بينما لا يزال البعض الاخر جاريا . وتركوا لنا بقاياهم التي تراكمت بسماكة عشرات الامتار بجوار العديد من الابار كبئر الهمل وأم التلال وأم قبيبة والندوية وغيرها من المواقع التي ظهرت فيها الاثار بكثافة لم يعرف لها نظير حتى الان ، حيث وجدت مئات الآلاف من الادوات الحجرية مقرونة مع بقايا مستحاثية اخرى وخاصة عظام الحيوانات ومتوضعة ضمن طبقات جيولوجية سليمه مكنتنا من الحصول على تواريخ مطلقة هي الاولى من نوعها في قطرنا ، ارخت العصر الانتقالي بين ١٥٠,٠٠٠ — ١٠٠,٠٠٠ خلت(٢٨) . لقد صنع سكان حوضة الكوم القدامى أدوات واسلحة حجرية متعددة بقدر تعددهم فمنهم من اعتمد على الفأس اليدوية وهناك من آثر المقحف اليبرودي وثالث ابدع أنواعا رائعة وطويلة من الحراب ذات الفعالية العالية في الصيد (الحراب الهملية) التي شكلت قفزة في تاريخ صنع الاسلحة الحجرية ، والتي اختفت مع اختفاء الهمليين (نسبة الى بئر الهمل) في نهاية هذا العصر ولم تصنع ثانية الا بعد مرور زمن طويل جدا وعلى يد الانسان العاقل(٢٩) . اننا ما زلنا بحاجة الى المزيد من البحث لنعرف أسباب هذا التنوع الكبير ، وما اذا كان ذلك يعكس فروقا عرقية أم مجرد طرق مختلفة في أساليب العيش والتكيف مع البيئة ولا بد ان العثور على هياكل عظمية قديمة سوف يساعد كثيرا في جلاء الحقيقة(٣٠) .

٢ ــ العصر الحجري القديم الاوسط (الباليوليت الاوسط) :

في مطلع العصر المطير الاول (ر ن ١) المسمى تشكيلة الشير أي منذ نحو ١٠٠,٠٠٠ سنة غاب الموزاييك الحضاري الذي ميز العصر السابق واختفى معه انسان الهومو اركتوس ، وظهر نوع جديد من البشر هو انسان النياندرتال ومعه حضارة جديدة . كان النياندرتاليون اكثر عددا من سابقيهم ونجد آثارهم في كل مكان من

قطرنا سواء في المواقع السطحية المكشوفة أو في الملاجىء والمغارات . لقد طور هؤلاء كل ما ابدعه اسلافهم كالبناء والاسلحة والادوات والملابس(٢١) ولكن اختفت الان الفأس الحجرية كلياوتوارت معهاالادوات الثقيلةالمصنعة على النوى (Nucleus) أي الكـدر الصواني لتحل مكانها ادوات اخرى مصنعة على الشظايا الصغيرة (Eclats) هذه الادوات كانت متنوعة الاشكال والوظائف وأهمها المقاحف ثم السكاكين والمخارز والمناشر وهي مصنعة وفق تقنيات جديدة وتنسـب الى ما يسمـى باللفلـوازي ـ الموستيري(٢٢) . ان التنقيبات التي أجريت في العديد من المواقع السورية العائـدة لعصر النياندرتال كيبرود وكهف الدوارة وجرف العجلةوالكوم في البادية السورية(٢٣) اظهرت ان ثقافة النياندرتال السوري رغم تشابهها العام مع مثيلاتها في بقيـة المناطق الا انها أقرب بكثير الى النياندرتاليين في المشرق العربي القديم وخاصة في فلسطـين ولبنان والاردن(٢٤) فلقد وصل سكان هذه المنطقة في ذلك العصر الى درجة عاليـة من التجانس وقامت بينهم علاقات مباشرة تبادلوامن خلالها حاجاتهم وخبراتهم مما حقق لهم فائدة أكبر من بيئتهم الغنية التي سخروها لخدمة مصالحهم المادية والروحيـة المتزايـدة .

٣ ـ العصر الحجري القديم الاعلى (الباليوليت الاعلى) :

في النصف الثاني من العصر المطير الاول (عصر الشير) اي منذ حوالي ٣٥٫٠٠٠ سنة اختفى فجأة انسان النياندرتال وظهـر الانسان العاقـل وهو السلـف المباشر للانسان الحالي ، دون ان نعلم بدقة كيفية حصول ذلك(٢٥). ورغم ان منطقة المشرق العربي القديم هي التي أعطت الدلائل الاهم على ظهور الانسان العاقل الا ان هـذا الانسان تابع تطوره الحضاري في مكان اخر ، هو القارة الاوربية وخاصة فرنسـا واسبانيا . وهكذا تغيرت الادوار فبعد ان كانت آسيا وافريقيا مركز النشاط الانساني الاهم انتقل هذا المركز الى اوربة في حين أصبح دور آسيا وافريقيا ، والشرق الاوسط وسورية ضمنا ، هامشيا الى حد ما . لقد تميزت الحضارات السورية والشرق ـ اوسطية في هذا العصر بالجمود وغياب الفن والبناء والادوات العظمية وغير ذلك مـن المبتكرات الجديدة التي عرفت من مناطق اوربـة . ونحن ما زلنـا نجهـل الاسباب الحقيقية لهذا التراجع وهل هو واقع مؤقت سوف تغيره الاكتشافات اللاحقة أم انه حقيقة ثابتة . واذا كان هذا هو الواقع فلا بد ان نبحث عن الاسباب التي أدت اليـه كالتغييرات المناخية او العرقية . ولكننا نعتقد ان سورية لم تكن مهجورة في هذا العصر الى الدرجة التي ظنها البعض وان الموضوع يتعلق بضعف الدراسات ليس اكثر بدليل وجود بعض المواقع الهامة كملجأ يبرود الثاني والطبقات العليا من جرف العجلة وكهف الدوارة التي دلت على أن الانسان قد سكن المغائر والملاجىء بسبب الظروف المناخية

الباردة التي سادت في حينه ولابد من دراسة المناطق الجبلية السورية وخاصة جبال المنطقة الساحلية التي لا زالت بكرا لنتعرف على حقيقة الامر ، علما بان الابحاث الكثيفة التي تجري في فلسطين اثبتت غنى الارض الفلسطينية باثار الباليوليت الاعلى وليس هناك مايقنع ، علميا ، بتخلف سورية عن فلسطين في زمن شكلت فيه كل هذه المنطقة وحدة جغرافية وحضارية تجلت باشكال مختلفة ومنذ بداية عصور ما قبل التاريخ . كما كشف في المناطق الجبلية الساحلية في لبنان عن مواقع هامة لهذا العصر(٣٦) .

٤ ـ الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعات العصر الحجري القديم السوري:

ان من اصعب الامور التي تواجه الباحثين في عصور ما قبل التاريخ هو معرفة الواقع الاجتماعي في تلك العصور التي غابت فيها الكتابة ، وغابت معها المعلومات المباشرة حول تنظيم ومعتقدات وافكار هؤلاء الناس . ونحن نحاول استدراك هذا النقص من خلال تفسير الاثار المادية الموجودة بين ايدينا والتكهن بوظائفها ومضامينها، واجراء المقارنات الاتنوغرافية بين مواقع ما قبل التاريخ وبين المجتمعات البدائية الحالية رغم ما يحمله هذا الموقف من المخاطرة المجانية الحقيقة(٣٧) ومهما تكن درجة الدقة في حكمنا على الدلائل المادية ، التي تعطينا اياها التنقيبات الاثرية ، فان الامور تبقى ذاتية الى حد ما بحيث يكون الموقف الفكري للدارس عنصرا مؤثرا في طبيعة الحكم لان كل منا يحلل منطلقا من موقفه الفلسفي والايديولوجي العام . وتصبح القضية اكثر صعوبة عندما يتعلق الامر بمجتمعات تفصلنا عنها الاف السنين . ونحن في الواقع نجهل الكثير عن الحياة الاجتماعية والروحية لانسان الباليوليت السوري (في العالم ايضا) ولكننا نستطيع القول انه قد عاش على شكل جماعات صغيرة متنقلا خلف الصيد واللقط ، في المناطق التي توفرت فيها مقومات العيش ، كالماء والحيوان والنبات والصوان . تؤكد ذلك الكميات القليلة للادوات الحجرية الفعلية التي تركتها هذه الجماعات في مناطق اقامتها ، ففي ست مرخو وجدت عشرون اداة فقط ولم يتجاوز عدد الادوات في اللطامنة والقرماشي الاربعمائة ، كما ان مساحة اللطامنة بلغت ٢٧٠م٢، مما يشير الى ضآلة الجماعات التي سكنت هذه المواقع . ولكن على الرغم من صغر الجماعة الواحدة فان عدد الجماعات كان كبيرا بدليل كثرة المواقع وتمايزها عن بعضها . كما ان الجماعات البشرية الاولى لم تكن معزولة عن بعضها فكثير من المواقع يتشابه بنسب متفاوتة ،مما يؤكد قيام اتصالات وعلاقات مباشرة أو غير مباشرة بينها ، لقد اقام انسان سورية الاول في السواحل وفي وديان الانهار ثم عرف بناء الاكواخ البسيطة من الخشب والجلد والاغصان والحجر كما في اللطامنة والقرماشي واستخدم المغائر والملاجىء الطبيعية كما كما في يبرود واصطاد حيوانات ضخمة كالفيل ووحيد القرن واستفاد من لحمها وجلدها وعظمها ، وصنع اضافة الى الاسلحة الحجرية الفعالة

الاسلحة والادوات العظمية ولكن لم يصلنا منها الا النذر اليسير بسبب فنائها بمرور الزمن . كما عرف انسان الباليوليت السوري النار منذ زمن باكر يعود الى حوالي نصف مليون سنة خلت (اللطامنة) وحقق منها فائدة قصوى في التدفئة أو الانارة والطبخ والدفاع عن النفس وغير ذلك . ولا بد ان الناس في ذلك العصر كانوا منظمين بشكل جماعات على راسها رجل قائد ، اب ، يتبعه الباقون من رجال ونساء واطفال. وهم عرفوا تقسيم العمل حسب الجنس والسن فاشتغل الرجال في الصيد والامور الشاقة الاخرى بينما اهتمت النساء بشؤون البيت (المعسكر) والاطفال اضافة الى التقاط الثمار والنباتات البرية . وقد استهلك الجميع من خيرات الطبيعة الحرة بقدر حاجاتهم فقط ولم يكن بينهم أية فروق في توزيع الغنائم (مشاعية بدائية) وليست لدينا من قطرنا اية دلائل على الطقوس الدينية او المعتقدات الروحية لانسان الباليوليت كما في اوربة ، وقد اظهرت التنقيبات ان سكان ملاجىء يبرود قد اكتشفوا الالوان (المغرة الحمراء) . لكننا لا نستطيع ان نقرر كيف استخدموا هذه الالوان ، هل دهنوا بها جلودهم أو ملابسهم أم أدواتهم ، كما لا نعلم أي شيء عن لغة انسان الباليوليت ولا عن كيفية تفاهم هؤلاء الناس مع بعضهم ، لكن الادوات والاسلحة المنوعة ذات الاشكال الثابتة والمحددة تشير الى قيام لغة ما تناقلت بواسطتها الاجيال تجاربها وخبراتها في فن تصنيع الحجر(٣٨) ..

رابعا : العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) :

بعد الركود الذي ساد في الباليوليت الاعلى استعادت سورية ، ومنطقة المشرق العربي القديم عموما ، دورها. ففي نهاية البليستوسن أي منذ حوالي ١٢٫٠٠٠ سنة ق.م تراجع الجليد عن نصف الكرة الشمالي ومال المناخ نحو الدفء واختفت حضارات الباليوليت الاعلى الاوربية وخاصة الحضارة المجدلانية(٣٩) وتبدلت الادوار من جديد، فانتقل مركز النشاط البشري من اوربة الى اسيا وخاصة منطقة جنوب غرب اسيا التي ستصبح منذ الان مسرح التفاعلات الجديدة الهامة التي هيأت لعصر جديد وفاصل انتقلت فيه البشرية من حياة التنقل والصيد والالتقاط الى الاستقرار والزراعة والتدجين . ولعبت المنطقة المسماة بالهلال الخصيب ، ومركزها في سورية وفلسطين، دورا حاسما في ذلك العصر(٤٠) فقد ادى التحسن المناخي الذي ساد في هذه المنطقة الى خروج الانسان من المغائر الى السهول المكشوفة التي ظهرت فيها الحبوب والحيوانات البرية التي زرعت ودجنت في العصر اللاحق . لقد تبلورت في الميزوليت الوحدة الحضارية للوطن العربي القديم واضحة اكثر من اي وقت مضى ، حيث غابت الحضارات العالمية ذات الانتشار الواسع كالاشولية والموستيرية والاوربنياسية وظهرت

حضارات اخرى، محلية الاصل والفرع. فالكباريون(٤١) سكنوا في يبرود وجيرود والكوم ووادي الفرات في النصف الاول من الميزوليت (١٢ ـ ١٠ الف سنة ق.م) . وكانوا اول من صنع الادوات الحجرية الصغيرة جدا وذات الاشكال الهندسية Microlithes - géometrique التي ارتبطت ببداية صنع الادوات المركبة حيث ثبتت القطع الحجرية المشذبة بعناية على مقابض عظمية وخشبية لتصبح سكاكين ومناشير ومناجل منوعة . ومع تنامي الالتقاط المكثف للحبوب البرية ، في المناطق الغنية بها ، عرفت الادوات الزراعية الكبيرة من الاحجار البازلتية خاصة، كالمجاريش والاجران والمدقات كما عرف الكباريون البناء البسيط والفنون الاولى لكننا لم نعثر في قطرنا حتى الان ، على دلائل للفن والبناء على غرار تلك التي وجدت في فلسطين . في مطلع الالف العاشر ق.م بدا عصر مناخي دافىء هو الهولوسن Holocène الذي لايزال مستمرا حتى الان ، ودخلت سورية ، في عصر الحضارة النطوفية(٤٢) التي أتتمتطورة عن سابقتها ، الكبارية . وكان النطوفيون أول المجتمعات المستقرة حيث سكنوا في مراحلهم الباكرة في الكوم ويبرود وجيرود وصيدنايا قرب دمشق والطيبة قرب درعا ، وانشأ هؤلاء قرى الصيادين الاولى في حوض الفرات حيث وجدت بيوتهم في السويات الدنيا من مواقع تل المريبط ، وتل ابو هريرة .. وهي بيوت صغيرة محفورة على السفوح المنحدرة في الارض ، جدرانها من الطين وسقوفها من الاغصان والجلود وكانت المنازل متجاورة لكنها غير متلاصقة ، ورغم استقرار النطوفيين النسبي فهم لم يعرفوا الزراعة ولا التدجين بل اعتمدوا في تأمين غذائهم على الصيد والالتقاط البريين اللذين مورسا بكثافة وتخصص عاليين . كما استفادوا من الثروات السمكية في الانهار وبقوا يستخدمون الادوات الميكروليتية الهندسيةلكنهم اضافوا أشكالا جديدة كالادوات ذات الشكل الهلالي أو أنصاف الدوائر Lunettes التي شذبوهاوجهزوا بها أدواتهم المركبة كالمناجللالتقاط النباتات البرية، كالقمحوالشعير ،والخطاطيف لصيدالاسماك. كما عرفوا الابر والمخارز العظمية ، التي استخدموها في خياطة ملابسهم وجلودهم وامتعتهم الاخرى ، والادوات الزراعية الثقيلة من الحجر البازلتي ، وهم أول من صنع ، في قطرنا ، مواد الزينة البسيطة كالخرز والقلادات والتمائم وغير ذلك من الانجازات التي تدل على مجتمع انتقل من مرحلة الجماعة الى مرحلة القبيلة وتوضحت سماته الخاصة الى درجة عالية وقامت بين أفراده علاقات اكثر غنى وتنظيما مما كان عليه الحال في عصر الباليوليت(٤٣) .

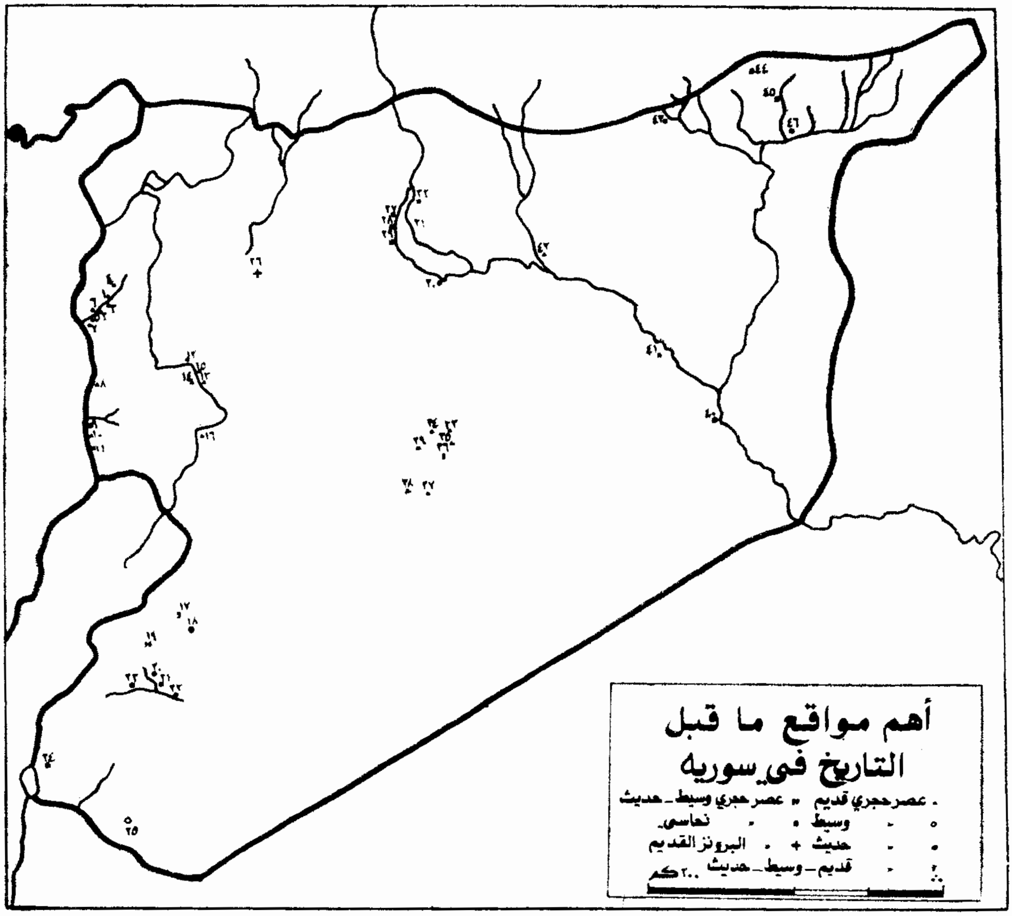
خامسا : الحضارات الزراعية في العصر الحجري الحديث « ما قبل الفخار »

في نهاية الالف التاسع وبداية الالف الثامن ق.م وهي المرحلة المسماة بالنيوليت

ما قبل الفخار آ (٤٤) نضجت تحولات العصر السابق وحصل الانعطاف التاريخي الاول والاهم في تاريخ الانسان الذي انتقل تدريجيا ، من الصيد والالتقاط الى الزراعة والتدجين وأصبح بذلك منتجا للطعام بعد ان كان جامعا له(٤٥) . لقد عثر على الاثار الاولى والاقدم لهذا الانعطاف الكبير في سورية وفلسطين ، دلت عليه مواقع تل المريبط وتل الشيخ حسن في حوض الفرات وتل أسود في حوضة دمشق ، واريحا في وادي الاردن ، لقد اقام سكان القرى الزراعية الباكرة في مطلع الالف الثامن ق.م في بيوت كبيرة وقوية استخدموا في بنائها اللبن ، لاول مرة ، والحجر والطين والخشب، وجعلوا أشكالها مستطيلة او مربعة أتت متطورة عن البيوت الدائرية الصغيرة التي ميزت العصر النطوفي السابق ، كما أصبحت البيوت متلاصقة مع بعضها ، مما سمح بزيادة عدد غرفها بسهولة كلما ازداد سكانها او دعت الحاجة . لقد انتشرت ،بكثافة، الادوات الزراعية الثقيلة كالرحى والاجران والبلطات كما صنعت المناجل ورؤوس السهام والادوات العظمية والاواني الحجرية . ومارس سكان القرى الزراعية الاولى صيد الحيوانات المختارة كالثور والغزال والحصان البري وقل اعتمادهم على الاسماك والطيور كما اشارت الى ذلك تنقيبات المريبط . ورغم زراعتهم للقمح والشعير الا انهم استمروا ايضا في التقاط هذه الحبوب التي عاشت في وسطهم برية وكثيرة . وفيما يتعلق بحياتهم الفنية والروحية فهم اول من تركوا لنا الفنون الاولى حيث عثر في المريبط، على جدران احد بيوت السوية الثالثة، على خطوط تزيينية سوداء رسمت على خلفية بيضاء يعتقد انها كانت تمثل شكلا هندسيا محصورا بين اطارين من اللون الاحمر، من المؤسف ان التلف اصابها وضاعت معالمها الحقيقية . وصنع السكان من الحجر ومن الطين تماثيل « الربة الام » التي تمثل امرأة عارية ترفع ثدييها بيديها وتبرز انوثتها، وتماثيل اخرى للثور المقدس .

كما دفنوا موتاهم في أرضيات بيوت سكنهم بعد ان فصلوا الجمجمة عن الجسم، كل ذلك يدل على مواقف محددة من قضايا الخصب والموت والحياة ترسخت مع الزمن واستمرت طويلا في معتقدات الشعوب اللاحقة في الوطن العربي القديم(٤٦) .

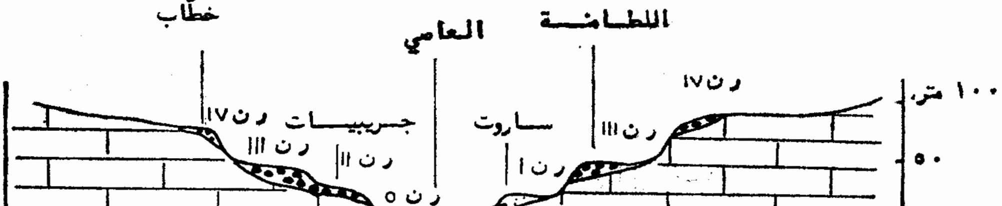
وفي مطلع الالف السابع ق.م (النيوليت ما قبل الفخار ب) حصلت حركات واسعة لشعوب المنطقة وقامت اتصالات وعلاقات تجارية ، هي الاولى من نوعها ، بين مناطق تبعد عن بعضها مئات الاميال فوصلت الاحجار النادرة ، كالاوبسيديان من الاناضول الى سورية وخامات اخرى من جبال زاغروس وافغانستان . واذا كان الالف الثامن هو عصر ابتكار الزراعة فان الالف السابع ق.م هو عصر ترسيخ هذا الابتكار من جهة واضافة ابتكار جديد اخر هو تدجين الحيوانات من جهة اخرى، تلك الحيوانات


أهم مواقع ما قبل
التاريخ في سوريه
عصر حجري قديم - عصر حجري وسيط - حديث
وسيط - نحاسي
حديث + البرونز القديم
قديم - وسيط - حديث
٢٠٠ كم

٤ ـ اهم مواقع عصور ما قبل التاريخ كما وردت مرقمة على الخارطة :

١ ـ ست مرخو
٢ ـ الشيخ محمد
٣ ـ المشرفة
٤ ـ مشيرفة الساموك
٥ ـ الشير
٦ ـ بكسا
٧ ـ هنادي
٨ ـ بانياس
٩ ـ تبة الحمام
١٠ ـ أرض حمد
١١ ـ موقع الحامي
١٢ ـ اللطامنة
١٣ ـ خطاب
١٤ ـ القرماشي
١٥ ـ تلول الدفاعي
١٦ ـ الرستن
١٧ ـ يبرود
١٨ ـ جيرود
١٩ ـ صيدنايا
٢٠ ـ تل العريفة
٢١ ـ تل الخزامي
٢٢ ـ تل اسود
٢٣ ـ تل الرماد
٢٤ ـ المجامع
٢٥ ـ الطيبة
٢٦ ـ تل مرديخ (ابلا)
٢٧ ـ جبل عرودة
٢٨ ـ حبوبة الكبيرة
٢٩ ـ تل قناص
٣٠ ـ تل ابو هريرة
٣١ ـ تل المريبط
٣٢ ـ شمس الدين طنيره
٣٣ ـ ام التلال
٣٤ ـ الندوية
٣٥ ـ بئر الهمل
٣٦ ـ الكوم
٣٧ ـ كهف الدوارة
٣٨ ـ جرف العجلة
٣٩ ـ أم قبيبة
٤٠ ـ تل بقرص
٤١ ـ عين ابو جمعة
٤٢ ـ شنينة
٤٣ ـ تل حلف
٤٤ ـ تل عقاب
٤٥ ـ شكر بازار
٤٦ ـ تل براك

التي كانت الهدف المفضل للصيد في الالف الثامن والتاسع ق.م ، كالغنم والماعز والبقر. ولقد بدأت منذ ذلك الحين تتطور ، جنبا الى جنب ، مجتمعات اعتمد بعضها على الزراعة وبعضها الاخر على تربية المواشي ، علما بان هذا التخصص لم يكن حادا كما قد يظن ، لان الكثير من قرى الالف السابع قد مارست الزراعة والتدجين معا رغم تفاوت دور هذه الانشطة من مستوطنة الى اخرى. في نهاية الالف السابع ق.م تجذرت الزراعة والتدجين كاسلوب رئيسي في انتاج الطعام وخرجت القرى الزراعية الاولى من مناطقها التقليدية في الوديان والسفوح المطيرة ، المواتية للزراعة البعلية الى مناطق جديدة امطارها اقل كالبادية (الكوم ، بقرص) او ساحلية لا تنمو فيها الحبوب البرية (راس الشمرة ، تبة الحمام) لقد بني سكان هذه القرى الجديدة منازل اقوى من اللبن ، على اساس من الحجر ، منظمة بشكل افضل من السابق كانت تتصل غرفها مع بعضها بممرات ومجهزة بالمواقد والتنانير وارضها وجدرانها مطلية لاول مرة بالملاط الابيض تفصلها شوارع كبيرة أو صغيرة ويعتقد أن بعض هذه البيوت كان له أكثر من طابق واحد . ويعتبر موقع بقرص ، قرب دير الزور ، أفضل نموذج للبناء المنظم في هذا العصر(٤٧) كما طور الناس أدواتهم واسلحتهم وخاصة رؤوس السهام الحادة والطويلة وصقلوا بعناية بعض هذه الادوات كالبلطات لتصبح اكثر مضاء ، وصنعوا الاواني من الحجر الكلسي الابيض (الاواني البيضاء) التي مهدت الطريق لظهور الاواني الفخارية(٤٨) ، وعرفوا الاواني الرائعة من المرمر التي يعتقد انه كان لها استخدام ديني واجتماعي خاص . وعلى المستوى الروحي استمرت المجتمعات



١ – مقطع جيومورفولوجي في حوض العاصي

الزراعية الاولى بصنع الدمى الانسانية والحيوانية المختلفة التي ترمز ، كما اشرنا الى عقائد مجتمع زراعي يقدس الخصوبة والامومة (الربة الام) . لكنهم اصبحوا يدفنون موتاهم خارج بيوت سكنهم الا ان الاهتمام بالجماجم قد تزايد فلم يعد يكتفى بدفنها معزولة عن الجسد ، في قبور خاصة ، كما في السابق وانما اصبحت هذه الجماجم تثبت على قواعد طينية وتوضع على امتداد جدران بيوت السكن ، كما ظهر في السوية الرابعة في المريبط . ثم ما لبثت الجماجم ان حنطت حيث كشط لحمها واعيد تكييف معالمها بالكلس ، ووضعت على تماثيل كبيرة من الطين (تل الرماد) ويرى الباحثون في هذا العمل الدليل الاثري الصريح على انتشار عقيدة «عبادة الاجداد » وهي عقيدة مارستها شعوب المنطقة كلها من الفرات وحتى وادي الاردن . وهي تشكل دليلا اخرا على الرباط الروحي الباكر بين سكان هذه المناطق . وفي نهاية عصر النيوليت قبل الفخار ب حققت الفنون تقدما ملحوظا فتنوعت ادوات الزينة كالخرز والخواتم والامشاط والتمائم وظهرت ولاول مرة الاختام المسطحة من الطين والحجر الاخضر (راس الشمرة السوية Vc) والفنون الجميلة التي تدل عليها الرسوم التي نفذت باللون الاحمر على خلفية بيضاء ووجدت على جدران احد بيوت بقرص وهي تمثل طيور النعام ، كما وجدت في نفس الموقع وجوه بشرية كبيرة من الطين عيونها منزلة ، هي الاولى من نوعها في قطرنا .

سادسا : مجتمعات العصر الحجري الحديث الفخاري :

في بداية الالف السادس ق.م تكتمل انجازات انسان العصر الحجري الحديث بالتوصل الى معرفة الاواني الفخارية التي باتت ضرورية لحفظ وتخزين الطعام والشراب في القرى المستقرة(٤٩) . لقد صنعت من الطين الناعم المحضر مختلف أنواع الاواني الكبيرة والصغيرة كالجرار والقدور والصحون والطاسات وأصبحت الاواني الفخارية ، بعد ان كانت الادوات الحجرية ، من السمات المميزة للشعوب وعلى اساسها يجري تمييز هذه الشعوب وتحديد انتشارها الزماني والمكاني . ان أقدم ظهور واسع للفخار في قطرنا أتى من الجزيرة العليا (موقع تل أسود) وهو يعود الى نهاية الالف السابع وكان من النوع الاسود والمصقول باليد ويعتقد انه من هذه المنطقة انتقلت صناعة الفخار شرقا الى بلاد الرافدين وغربا الى الاناضول وسواحل المتوسط . تلاذلك فخار منطقة العمق ، المسمى بالعمق آ Amuq A الذي انتشر في المناطق الغربية من سورية(٥٠) وهو بني اللون او قاتم عموما عليه بعض الحزوز والطبعات الزخرفية البسيطة (السوية VB في رأس الشمرة وموقع تل سوكاس) ، وهو يوازي زمنيا فخار العمق آ. وفي مرحلة لاحقة تسمى العمق ب ، انتشر نوع آخر من الفخار الرمادي المصقول ايضا وهو احدث نسبيا (السوية VA في راس الشمرة) وفي هذه المرحلة

انتقلت صناعة الفخار من سورية الى فلسطين جنوبا وسادت في الالف السادس في كل المنطقة المسماة بالهلال الخصيب حضارة كبيرة متجانسة تألفت من مجموعة مراكز محلية أصغر تشابهت مع بعضها بدرجات متفاوتة فكانت الجزيرة السورية أقرب الى بلاد الرافدين الشمالية بينما شكلت السواحل السورية مع الفلسطينية واللبنانية مركزا حضاريا واحدا، في حين كانت مناطق جنوب سورية اشبه بالحضارات الفلسطينية. لقد عاشت مجتمعات النيوليت الفخاري، مثل سابقتها ، على الزراعة والتدجين وبقي القمح والشعير والغنم والماعز اهم ما زرع ودجن في ذلك العصر ، وقد تطورت آنئذ الادوات الزراعية والاسلحة وخاصة رؤوس السهام التي اصبحت اكثر تخصصا (كنبال العمق او نبال جبيل على الساحل اللبناني) وزاد استخدام الحجر المصقول كالفؤوس والبلطات والمقدات ولكن لم يطرأ تغير يذكر على البناء ولا على الحياة الفنية والروحية وان كنا نرى نقصا ملحوظا لا نجد له تفسيرا كافيا في صنع الدمى الانسانية والحيوانية. منذ منتصف الالف السادس ق.م اختلف بشكل واضح وتائر التطور في قطرنا وبعد ان سارت حتى الان بشكل متواز، فواكبت الجزيرة السورية مناطق شمال الرافدين الذي تسارعت فيها التفاعلات الحضارية ممثلة بالثقافة الحلفية الجديدة(٥١) التي حققت انجازات كثيرة ليس اقلها الفخار الرائع ، بينما بقيت المناطق السورية الجنوبية شديدة الصلة بفلسطين والاردن ، وتعيش معها تقاليد العصر الحجري الحديث .

سابعا : حضارات العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) .

في منتصف الالف السادس ق.م ظهرت ، كما ذكرنا ، في شمال بلاد الرافدين وفي الجزيرة السورية الحضارة الحلفية التي عرفت لاول مرة النحاس واستخدمته ، مطروقا ، في تصنيع بعض الادوات الخفيفة وبدأ دور الحجر بالتراجع لتتصاعد أهمية المعادن ، ومن هنا أطلقت تسمية العصر الحجري النحاسي الذي يمثل المراحل الاخيرة من عصور ما قبل التاريخ . ان من اهم ما يميز الحلفيين هو الاواني الفخارية الرقيقة، جيدة الصنع ، الملونة والمزخرفة باشكال هندسة ونباتية وحيوانية وانسانية غاية في الجمال . لقد انتشر هؤلاء على منطقة واسعة امتدت من شمال الرافدين وحتى سواحل المتوسط مما يشير الى تجانس حضاري شمل ايضا النصف الشمالي من سورية وحتى البقاع جنوبا . لقد انتج الحلفيون السوريون فخارهم الخاص الشديد الشبه بالنوع المستورد من الشمال الرافدي(٥٢) وصنعت هذا الفخار مراكز متخصصة صدرته الى مناطق اخرى بعيدة قامت بينها علاقات وصلات قوية . لقد تطور الحلفيون السوريون بشكل متزامن مع اخوانهم الرافديين وما المواقع السورية الهامة كشاغار بازار، وتل اسود ، وتل عقاب ، وتل حلف ، وتل يونس وغيرها الا المرادف الحضاري لياريم تيه والعربجية في العراق . وكما تطور الحلفيون هناك على مراحل

ثلاث باكرة ومتوسطة واخيرة نلاحظ وجود نفس المراحل التطورية في سورية . لقد سكن الحلفيون في بيوت مستطيلة أو مربعة أو دائرية مبنية من اللبن والحجر بعضها يتألف من مدخل مستطيل ينتهي ببيت دائري مقبب(٥٣) ، وصنعوا الادوات الحجرية المنوعة والمصقولة والادوات الاوبسيديانية ، والاختام المسطحة والمواد الفنية كالخرز والدمى وخاصة التي تمثل «الربة الام» . ويدل البيت الصغير في تل اسود الذي عثر في جداره على جمجمة ثور انه كان معبداً مورست فيه الشعائر الدينية(٥٤) . في النصف الاول من الالف الرابع ق.م. ظهرت على انقاض الحلفيين الحضارة العبيدية(٥٥) ، وان الكثير من المواقع السورية كرأس الشمرة وتل عقاب وتل حلف وشاغار بازار أعطتنا اواني فخارية لها صفات انتقالية مشتركة بين عصري حلف المتأخر وعبيد الباكر معا يحملنا على الاعتقاد بان العبيديين السوريين هم أيضا مثل الحلفيين ، سكان محليون اصلاء وليسوا مهاجرين ولا غزاة قدموا من جنوب بلاد الرافدين كما ظن سابقا ، لقد انتشر العبيديون على نفس المناطق التي عاشت فيها سابقا المجتمعات الحلفية ، أي بقوا في القسم الشمالي من سورية ولم يتجاوزوا حمص جنوبا ، وعرفوا تصنيع الاواني الفخارية ، لكنها كانت أقل جودة من السابق معظمها بلون واحد ، برتقالي فاتح غالبا ونادرا ما صقلوها ، اما زخارفها فكانت هندسية واحيانا طبيعية ، كالنباتات والحيوانات والبشر . ان الابتكار الهام في هذا العصر هو الدولاب البطيء الذي مكنهم من انتاج أوان أكثر تنوعا وانتظاما . وخير ما يمثل الفخار العبيدي هو رأس الشمرة السوية III c التي وجد فيها فخار له عدة الوان أو لون واحد ، غالبا أحمر ، وفيه صفات انتقالية بين حلف وعبيد ، والسوية III B حيث ظهرت فيها الاواني العبيدية الخالصة ، كالجرار والقدور ذات المثاعب المزخرفة ببصمات الاصابع وبعضها بأشكال هندسية مختلفة . لقد سكن العبيديون في بيوت مستطيلة من الطين والحجر ، رصفت ارضها بالحجارة وتوسطتها المواقد ، وصنعوا أدوات زراعية ، وخاصة المناجل والبلطات لقطع النباتات والاخشاب ، والقداديم من الاحجار الخضراء ، وعرفوا النسيج وأدوات الزينة من العظم والاوبسيديان والاحجار النادرة الاخرى والدمى الانسانية المختزلة من الطين والحجر والكلس . الى الجنوب من مناطق انتشار الحلفيين والعبيديين ، أي جنوب حمص ، وعلى امتداد الالفين الخامس والرابع ق.م عاشت مجتمعات أقل تطورا تابعت نمط حياة العصر الحجري الحديث ، سكنت في بيوت حجرية كبيرة كما هي الحال في موقع المجامع في منطقة القنيطرة او طينية صغيرة كما هي الحال في تل الخزامى في حوضة دمشق ، وصنعت الادوات الزراعية المنوعة وكان لها فنونها ومعتقداتها الخاصة وهي أقرب الى حضارة الغسول الفلسطينية(٥٦) .

ثامنا : نشوء العمران وفجر التاريخ :

في النصف الثاني من الالف الرابع ق.م(٥٧) انطلقت من مدينة الوركاء في جنوب بلاد الرافدين الحضارة السومرية التي ابدعت نظام الكتابة وأسست أول دولة في التاريخ. في هذا العصر بلغ التشابه بل التطابق الحضاري بين سورية وتلك البلاد لدرجة أكبر من أي وقت سبق ، دل على ذلك نمط البناء والفخار والفنون والكتابة التصويرية الاولى وغير ذلك ، لقد انشئت المدن المسورة والمحصنة الاولى في وادي الفرات السوري على امتداد الطريق التجاري الهام بين دولة السومريين في الجنوب وسواحل المتوسط والاناضول في الشمال ، كما أظهرت تنقيبات الانقاذ التي جرت اثناء اقامة سد الفرات(٥٨) وادت الى اكتشاف العديد من المواقع الهامة التي نسبت الى حضارة الوركاء وعلى راسها حبوبة الكبيرة الجنوبية وتل قناص وجبل عرودة ، اضافة الى تل براك في الجزيرة السورية شمال الحسكة المعروف منذ الاربعينات والذي استؤنف التنقيب فيه في السنوات الاخيرة . أن موقع حبوبه الكبيرة الذي بلغت مساحته حوالي ١٨ هـآ، يعطينا أفضل فكرة عن نظام بناء المدن في ذلك الحين(٥٩) فلقد شيدت مدينة حبوبة وفق مخطط مسبق ودقيق وزودت بشبكة من الطرق الرئيسية والفرعية والاقنية لتمديد وتصريف المياه .

بنيت المساكن على الطراز السومري المعروف بثلاثي العباصر Tripartite أي باحة كبيرة مركزية مربعة او مستطيلة في منتصفها موقد أو كثر ويحيط بها من الجانبين صفان من الغرف الصغيرة وهذا نفس النموذج الذي بنيت وفقه المعابد الاولى . وهناك طراز اخر من البناء ، محلي بحت ، اسماه المنقبون بالبيت الشرقي ويتألف من صالة كبيرة واحدة تطل على صحن دار داخلي . لقد انتشرت معظم المساكن حول شارعين رئيسين يوازيان الفرات ويقطعان المدينة من شمالها الى جنوبها ، وقامت بجوار بيوت السكن الابنية الاقتصادية المختلفة كالمشاغل والمستودعات . احاط بالمدينة من كل جهاتها ، عدا الشرق حيث الفرات ، سور مزدوج هو الافضل حفظا من نوعه في المشرق العربي القديم . لقد بني هذا السور من اللبن وبلغ عرضه ثلاثة أمتار وطوله ٦٠٠ متر فيه بوابتان رئيستان وتعلوه ابراج دفاعية مستطيلة وعضادات تدعمه وتعطيه شكلا جميلا . لقد صنع سكان المدينة أواني من الفخار العادي، بعد ان تراجع فخار عصر العبيد الملون ، كالقصعات والجرار والقدور التي طبعت سطوحها بالاختام الاسطوانية التي صنعت لاول مرة في قطرنا ونقشت عليها مواضيع اسطورية وطبيعية تذكر باختام الوركاء. والى الجنوب من تل حبوبة الكبيرة الجنوبية يقوم تل قناص الذي اتضح انه يمثل الجناح الاداري والديني لمدينة حبوبة الكبيرة(٦٠)، حيث كشف عن ثلاثة

معابد مبنية فوق مصطبة مرتفعة وعلى نفس النموذج الثلاثي العناصر الذي بنيت وفقه بيوت السكن ومزودة بمصاطب أمامية وادراج ، وجدت في هذه المعابد الجرار الفخارية المزخرفة بالضغط أو الحز ، والاواني المرمرية الكبيرة ذات المثاعب ، وأدوات زراعية ومنزلية وصناعات نفيسة واختام واسلحة بل والاهم من كل ذلك اللوحات الطينية التي حملت أشكالا حيوانية بقربها رموز حسابية تمثل الكتابة التصويرية Pictographe التي تعود الى الربع الاخير من الالف الرابع ق.م وتمثل المرحلة الاولى من تاريخ الكتابة(٦١) وعلى هذا العصر يؤرخ جبل عرودة الواقع على بعد بضع كيلو مترات الى الشمال من حبوبة ، لقد شيد السكان على قمة الجبل الذي يرتفع حوالي ٦٠ مترا عن السهل المجاور معبدين كبيرين بنيا على نفس المخطط ثلاثي العناصر ايضا وزينت جدرانهما بالمسامير الطينية الملونة مثل المعابد الرافدية في مدينة الوركاء، في واحد من هذين المعبدين عثر على رقم طينية عليها كتابة تصويرية وطبعات أختام اسطوانية تشبه رقم حبوبة والوركاء وهذا دليل اخر على الوحدة الحضارية للمنطقة . وجدير بالذكر ان لوحات كتابية مشابهة ايضا آتت من موقع تل براك ، في الجزيرة العليا حيث وجد معبد رائع هو « معبد العيون » زين محرابه بالاحجار النادرة والمعادن الثمينة مما اكسبه صفة محلية خالصة (٦٢) ان عدم استمرار الحياة مدة طويلة في مدن الفرات الاوسط ، التي لم تعمر الا حوالي قرن او قرن ونصف من الزمن اذ اودى بهما حريق كبير ، حمل البعض على اعتبارها محطات تجارية سومرية مؤقتة ربطت بين بلاد الرافدين جنوبا ، حيث ازدهرت ثقافة الوركاء ،وبين الاناضول والمتوسط شمالا. لكننا نظن انهما مراكز استيطان مدني وأصيل تطورت محليا ، بشكل متزامن مع مثيلاتها في بلاد الرافدين مستفيدة من موقعها الجغرافي المناسب. يدعم هذا الرأي العثور على اثار عصر الوركاء وخاصة الفخار في مناطق بعيدة عن الفرات وصلت حتى الكوم في البادية السورية والجزيرة العليا حيث يقوم موقع تل براك الذي بقيت الحياة فيه مستمرة بلا انقطاع وحتى العصور التاريخية اللاحقة والذي وجدت فيه كما أشرنا كتابات تصويرية تعود الى نهاية الالف الرابع ق.م. بعد هذه التاريخ غابت الكتابة في قطرنا لمدة طويلة قبل ان تظهر الكتابة المسمارية المتطورة التي دل عليها الارشيف الملكي في ابلا العائد الى الربع الثالث من الالف الثالث ق.م وهو زمن دخلت فيه سورية بالكامل في العصور التاريخية القديمة(٦٣) .

الرباعي في سورية

المناخ دافئ • بارد	أقسام الرباعي		الرباعي السوري	الرباعي الاوروبي	الانسان	العصر	الحضارة	المواقع الهامة	الزمن بالسنين
	الهولوسين		تشكلات الهولوسن	تشكلات الهولوسن	الانسان العاقل	العصر الحجري النحاسي	مجتمعات انتقالية الى العصور التاريخية	تل حلف ، تل عقاب ، تل براك ، تل حبوبة الكبيرة جبل عارودة ، شمس الدين طنيرة ، شافار بازار ، المجاسع ، تل الخزامي .	٣٠٠٠
						العصر الحجري الحديث	مجتمعات الزراعة والتدجين	تل المريبط ، تل أبو هريرة ، بقرص ، تل الرقاد ، تل العريفة ، رأس الشمرة ، قبة الحمام	٥٠٠٠
	البليستوسين	البليستوسين الاعلى	الشمر	ڤيرم		العصر الحجري الوسيط	الكبارية النطوفية	الكوم I ، الندوية I ، المريبط I ، صيدنايا ، جيرود يبرود III ، الطيبة	٨٠٠٠
						العصر الحجري القديم الاعلى	الاورينياسيه	يبرود II والطبقات العليا من كهوف جرف العجلة و الدوارة .	١٢،٠٠٠
					النياندرتال	العصر الحجري القديم الأوسط	اللفلوازيه – الموستيرية	جرف العجلة وكهف الدوارة والطبقات العليا في أكثر مواقع العصر الانتقالي .	٣٥،٠٠٠
			بانياس	ريس – ڤيرم	الهومو اركتوس	عصر انتقالي	الآشوليةالاخيرة اليبرودية ، الهملية ، الساموكية الدفاعية	يبرود I ، بئر الهمل ، القصدوية II ، أم التلال ، أم قبيبة عشيرة الساموك تلول الدفاعي .	١٠٠،٠٠٠
			عين أبو جمعة	ريس		العصر الحجري القديم الأدنى	التياسية	ست مرخو ، الشيخ محمد ، خطاب ، الرستن ، اللطامنة ، القرماشي ، ارض حمد ، موقع الحامي .	٥٠٠،٠٠٠
		البليستوسين الاوسط	هنادى	مندل – ريس					
			اللطامنة	مندل					
			بكسا	جينز – مندل			الآشولية		
		البليستوسين الادنى	ست مرخو	جينز	الاوسترالوبيتك				
			المشرفة	دونو – جينز			الابڤيلية		١٠٠٠،٠٠٠

(١) لقد ظهر الانسان الاول منذ ما ينوف على المليوني سنة في جنوب وشرق القارة الافريقية، واخترعت الكتابة التصويرية الاولى في بلاد الرافدين وفي سورية منذ نهاية الالف الرابع ق.م . وعليه فان عصور ما قبل التاريخ تقع بين هذين الحدثين . ويقسم الباحثون هذه العصور الى العصر الحجري القديم الباليوليت Paléolithique الذي بدأ في ازمنة متفاوتة مع ظهور الانسان في مختلف الاماكن وانتهى في نحو ١٢٠٠٠ سنة ق.م . وهو عصر التنقل والصيد والالتقاط، ويقسم بدوره الى الباليوليت الادنى والاوسط والاعلى ، يليه العصر الحجري الوسيط الميزوليت Mésolithique وهو عصر انتقالي استمر من نحو ١٢٠٠٠ حتى نحو ٨٠٠٠ سنة ، ثم العصر الحجري الحديث النيوليت Néolitihique وهو عصر الاستقرار والزراعة والتدجين واستمر من نحو ٨٠٠٠ وحتى نحو ٤٠٠٠ سنة ق.م . واخيرا العصر الحجري النحاسي الكالكوليت Chalcolithique ويمثل نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية الانتقال الى العصور التاريخية القديمة وقد استمر على امتداد الالف الرابع ق.م . تقريبا . علما بان هذه الارقام مدورة ونسبية وتتباين من موقع لاخر ومن منطقة لاخرى . وتساعدنا الان طرق التاريخ المخبرية في تحديد سلم زمني ادق لعصور ما قبل التاريخ .

(٢) عثر هذا الفرنسي المتعدد الاهتمامات على هذه الادوات في حوض نهر السوم في منطقة ابفيل Abbeville ، ونشر بين ١٨٤٧ - ١٨٦٠ ثلاثة مجلدات حاول فيها تاكيد قدم الانسان السحيق جدا عكس ما كان يعتقد ، وفق التوراة ، من ان الانسان يعود الى الالف الرابع ق.م .

(٣) في الوقت نفسه (١٨٥٩) قام السيد غودري A. Gaudry بالحفر من موقع سان اشول Saint Acheul في حوض نهر السوم أيضا وحصل على المزيد من الاسلحة والادوات الحجرية المتطورة الصنع بينها فؤوس حجرية هي التي تميز ما يسمى الان بالحضارة الاشولية Acheuléen .

(٤) نشر هذا الكتاب The Qrigin of Species في ١٨٥٩ وفيه عالج داروين قضية التطور مؤكدا ان العالمين الحيواني والنباتي قد تطورا عبر زمن طويل في اطار قوانين الاصطفاء الطبيعي وبقاء الافضل . وفي مؤلف اخر عن اصل الانسان The Descent of Man الذي صدر في ١٨٧١ عالج داروين مسألة تطور الانسان نفسه من الرئيسيات وحتى الانسان العاقل . وقد كتب هذا المؤلف في زمن كانت فيه الاكتشافات قليلة ومناهج البحث بسيطة مما جعله يفتقر الى الدقة العلمية التي نلمسها اليوم في مؤلفات اخرى تعالج نفس الموضوع . ومهما يكن فهناك اتفاق عام الان بين الباحثين على قضية التطور وان اختلفوا في الكيفية او التفاصيل ونأمل التعرض لهذا الموضوع في بحث مستقل قريبا .

(٥) نذكر من الباحثين الذين عملوا في النصف الاول من القرن العشرين وكان لهم الفضل في ارساء دعائم علم ما قبل التاريخ ، وكلهم فرنسيون :
H. Christy, E. Lartet, C. de Mortillet, V. Commont, D . Peyrony, H. Breuil.
فلا نستغرب أن يقال ان علم ما قبل التاريخ علم فرنسي ، كما ان معظم حضارات ما قبل التاريخ أخذت تسمياتها من المواقع الفرنسية ، ولكن ذلك لا يعني أسبقية فرنسا الحضارية في هذه العصور انها قضية تاريخ البحث ليس الا ، وقد دلت الدراسات الحديثة عدم دقة تطبيق النموذج الفرنسي لعصور ما قبل التاريخ على كل المناطق التي كان لها ميزات مستقلة ولا بد من ايجاد نماذج محلية تعبر عن طبيعة تلك العصور بشكل أكثر علمية وموضوعية وهذا ما يحصل الان في مختلف البلدان .

(٦) تستخدم الان بتصاعد الحواسب الالكترونية وطرق التاريخ والتحاليل المخبرية الفيزيائية ـ الكيميائية الحديثة ، اضافة الى القوانين الرياضية وعلوم اخرى ، وذلك في دراسة بقايا عصور ما قبل التاريخ سواء كانت ادوات اثرية حجرية او عظمية أم مستحاثات نباتية او حيوانية او جيولوجية أم هياكل عظمية بشرية ، وتعطى هذه الطرق المتطورة نتائج مشجعة تتحسن دقتها باستمرار .

(٧) يعتبر الامريكي بينفورد والانكليزي دافيد كلارك رائدي علم الاثار الحديث الذي يتبع المنهج الاستدلالي Deductive الذي يعتمد على طرح نظريات تتعلق بحياة انسان ما قبل التاريخ ثم محاولة التحقق من هذه النظريات من خلال البحث الميداني ،على عكس منهج علم الاثار التقليدي الاستقرائي Inductive الذي يدرس عصور ما قبل التاريخ دون افتراضات مسبقة ، بل كما يظهرها واقع البحث الاثري غير الموجه سلفا ومهما يكن فاننا لا نعتقد ان علم الاثار الحديث قد أتى بثماره الكاملة او احدث ثورة في معارفنا عن مجتمعات ما قبل التاريخ ، فكلا المنهجين يلتقيان ويكمل احدهما الاخر ومن اجل المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى المؤلفات التالية :

— R.L. et Sally Binford, 1968, **New Perspective in Archaeology,** Chicago.
— D.L.Clark, 1968, **Analytic Archaeology,** London.
— P. Courbin, 1982, **Qu' est que l'Archeologie,** Payot, Paris.

(٨) لقد قام بالاعمال الاولى حول عصور ما قبل التاريخ رجال دين وضباط فرنسيون جمعوا بعض الادوات الحجرية من مناطق مختلفة في سورية ولبنان، وخاصة من احواض الانهار الرئيسية كالفرات والعاصي والليطاني وقاموا بدراسات أولية لها ، نذكر من هؤلاء الاب زوموفن الذي نشر بعض المؤلفات في مطلع هذا القرن عن ما قبل التاريخ السوري واللبناني ، والضابط برفيه الذي نشر في الاربعينات دراسات اخرى مشابهة عن مواقع ما قبل التاريخ السورية ـ اللبنانية ، ومن اهم المراجع الاولى :

— G. Zumoffen, 1900, **La Phénicie avant Les Phéniciens,** Beyrouth Imp. Catholique.
— Zumoffen, 19o8 « L' Age de la Pierre en Phénicie » **Anthropos,** 3, 431—55 .
— M, Pervés, 1946 — 48 « La Préhistoire de La Syrie et du Liban» **Syria** 9 , 1o9 - 29 .

(٩) قدم السيد روست الى الشرق الاوسط على دراجة عادية مدفوعا بالاكتشافات الانكليزية الهامة لمآثر انسان النياندرتال في مناطق جبال الكرمل بفلسطين ، فاستهوته ملاجىء وادي سكفتا في يبرود ونقب منها ثلاثة بين اعوام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٣ ونشرها بمنهجية علمية هي الاولى من نوعها .ويعتبر هذا الباحث الاب الحقيقي لما قبل التاريخ السوري . ولكن المؤسف انه اخذ المواد الاثرية معه الى المانيا .

(١٠) اننا نستخدم مصطلح ((حضارة)) Culture لوصف الانجازات المادية او الروحية لمجتمعات ما قبل التاريخ . وفيما يخص عصور ما قبل التاريخ فان هذا المصطلح غالبا ما يقتصر على وصف نمط معين من الادوات الحجرية او العظمية التي كان لها انتشار زماني ومكاني محدد .

(١١) لا زال هذا الملجا محط اهتمام المختصين وقد اعادت التنقيب فيه بعثة امريكية من جامعة كولومبيا بادارة رالف سوليكي وذلك بين أعوام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ ، ويتهيأ هذا الباحث للرجوع الى يبرود ومتابعة العمل مجددا لتدقيق بعض الامور التي ظهرت اثر تنقيبات الستينات او التي نشرها روست في الثلاثينات وقد نشر السيد سوليكي بالاشتراك مع زوجته تقريرا عن اعماله في مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية .

— Solecki, R, L, 1966 « New data from yabroud, Syria, Preliminary Report of the Colombia University Archaeological Investigations. A.A.A.S., 12 (2) 121 - 154 .

(١٢) الكتاب بالالمانية صدر في ١٩٥٠ وهو :

A. Rust, 1950. **Die Holenfund Yabrud (Syrien),** K. wachholtz Neumunster,.

(١٣) نقب اللطامنة السيد ديزموند كلارك ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ وسبقه سبر من قبل فان ليرة وعدنان البني ١٩٦٠ ، وتنقيب بسيط في ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ من قبل مودرمان ، واستخدمت لاول مرة طرق الدراسة المكانية لارضية سكن الموقع بهدف معرفة توزع الاثار وخاصة الادوات الحجرية ومن ثم تحديد طبيعة النشاط الذي مارسه السكان ، مما ساعد على تعيين مناطق لطرق الصوان واخرى للاقامة او القاء الفضلات .

(١٤) استفاد فان ليرة من كونه خبيرا في التربة ولعدة سنوات (١٩٥٥ ـ ١٩٦٥) لدى الحكومة السورية وقد نشر ملخص اعماله في كتاب صغير اسماه ملاحظات عن الرباعي السوري ، اعيد طبه من قبل المديرية العامة للاثار والمتاحف .

W. J. Van Liere 1960 - 1961, **Observations On The Quaternary of Syria .**

(١٥) نذكر، من البعثات المتميزة، مجموعة العمل المشترك ٤٣٨ R.C.P.438 التابعة لجامعة ليون الثانية بادارة الاستاذ بول سانلافيل وعضوية كل من : بوزانسون ، أور ، كوبلاند Y. Besançon, F.Hours, L. Copeland وسلطان محيسن كما نذكر البعثة الدائمة العاملة في منطقة الكوم بادارة السيد جاك كوفان العائدة لمركز البحث العلمي الفرنسي والتي يشارك فيها كاتب هذه الدراسة أيضا . وقد ادى نشاط هاتين البعثتين الى اغناء معلوماتنا بصورة كبيرة عن ما قبل التاريخ السوري ، وتجلى ذلك من خلال المؤتمر الدولي الذي عقد في مدينة ليون بفرنسا بين ١٠ ـ ١٤ حزيران ١٩٨٠ والذي نشرت دراساته في مؤلف كبير ١٩٨١ بعنوان ما قبل التاريخ في الشرق Préhistoire du Levant, C.N.R.S. Paris 1981 كما ان كل البعثات التي عملت او تعمل في قطرنا تنشر تقارير اولية عن نتائج اعمالها في مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية التي تصدرها المديرية العامة للاثار والمتاحف بدمشق ، ونجد في كل اعداد هذه المجلة

تقريبا داسات باللغة الاجنبية ، مع ملخص مترجم للعربية حول مواقع عصور ما قبل التاريخ المنقبة علما بان العدد السادس عشر (الجزء الثاني) عام ١٩٦٦ قد خصص كله لما قبل التاريخ.

(١٦) منذ مطلع القرن الحالي استطاع كل من بنك وبروكنر

A, Penck et Bruckner , E., 1908 , **Die Alpen in Eiszeitalter,** Leipzig Tauchnitz,

تحديد اربعة عصور جليدية هي من الاقدم : جينز ، مندل ، ريس ، فيرم : Guns , Mindel, Riss, wurm. أخذت تسمياتها من روافد فرعية لنهر الدانوب في جنوب المانيا ، وقادت الاعمال اللاحقة الى تحديد عصرين جليديين اخرين هما دونو Donau الذي سبق جينز ،وبيبر Biber وهو العصر الجليدي الاول والاقدم .

(١٧) لقد تبين بانه من غير الدقيق علميا الاستمرار في استخدام التقسيمات والتسميات الاوربية على مناطق الشرق الاوسط . فقد اثبتت البحوث الاخيرة للجيومورفولوجيين الفرنسيين جاك بوازنسون وبول سانلافيل ، انه كان للتغيرات المناخية الرباعية في هذه المنطقة شكلا مختلفا عنه في اوربة لذلك أعطيت العصور المناخية الشرق ـ اوسطية اسماء محلية مأخوذة من المناطق التي وجدت فيها افضل اثارها سواء كانت مصاطب نهرية ام شواطىء بحرية . ونحن نستخدم الترميز والترقيم العالمي لتحديد هذه الاثار فنرمز الى تشكلات عصر الهولوسين : راءنون صفر (ر ن ۰) أي رباعي نهري صفر او راء باء صفر (ر ب ۰) ، أي رباعي بحري صفر Quaternary Fluviatile O=QFO , Quaternary Marine O=QMO

واما تشكلات البليستوسين فيرمز لها تتابعا رن ١ ، ر ب ١ ، ر ن ٢ ، رب ٢ ، رن ٣، رب٣، رن٤، رب٤ وهكذا .

(١٨) لا يتسع المجال هنا للدخول في تفاصيل عملية ظهور الانسان وتطوره البيولوجي لكننا نشير الى ان الدراسات المعمقة في هذا الموضوع قد أظهرت ان الفرع الذي آل الى الانسان قد تطور على امتداد زمن طويل بدءا منذ اكثر من عشرين مليون سنة ، وان الكائن الاول الذي اتفق الباحثون على تسميته بالانسان Homo هو النوع الذي حمل صفات انسانية كالقامة المنتصبة وحجم الدماغ الكبير ، وكان قادرا على التفكير والقيام بالعمليات الذهنية التي مكنته من تصنيع الاداة الاولى هذا الكائن يسمى الاوسترالوبيتك او الهوموهابيل Australopithecus, ou, Homo - Habilis وقد ظهر منذ بداية الرباعي ، تلته ثلاثة أنواع اخرى تتدرج في تطورها الفيزيولوجي والحضاري هي الهومواركتوس ثم النياندتال واخيرا الانسان العاقل ، الجد المباشر للانسان الحالي Homo - Erectus, Néandertal. Homo - Sapiens .

(١٩) P. Sanlaville, (ed.) 1979, **Quaternaire et Préhistoire du Nahr el Kebir septentrional, les debuts de l'occupation humaine dans la Syrie du Nord et au Levant,** C.N.R.S., Paris.

(٢٠) Hours,F.1980,Paléolithique de la Syrie et du Iiban, thése de Doctorat d' Etat presentée à L l'Universtié de Paris I (Sorbone).

(٢١) — Clark, D. 1966,«The Middle Acheulian Occupation Site Latamne,

Northern Syria» A.A.A.S. 16 (2) 1-120 .

(٢٢) — Muhesen, S., 1981 « The Upper Acheulian in Syria» Colloque, **Prehistoire du levant** . 185-191, C.N.R.S. Paris .

(٢٣) نقبت هذا الموقع بعثة سورية ـ فرنسية مشتركة بادراة كل من سلطان محيسن وفرنسيس اور ، وقد نشرت دراسة مفصلة عنه في اوكسفـــورد اعدها الباحث في جامعة ليون الثانية بفرنسا وهي:

— Muhesen, S., 1985, **L'Acheuleen Recent Evolué de Syrie** B.A.R. International Series 248, Oxford, England.

(٢٤) — Copeland , L . et Hours , F ., 1981 , « La fin de L' Acheuléen et L'Avènement du Paléolithiqne Moyen en Syrie » Colloque **Préhis toire du Levant** 225 - 238 C.N.R.S. Paric.

(٢٥) — Hours, F., 1983ا Le yabroudien d'el kowm et sa Place le Paléolithique du Levant » **Paléorient** 9/1 , 21 - 37.

(٢٦) لم نعثر حتى الان في قطرنا على اية هياكل عظمية مباشرة لانسان الهوموارکتوس او النياندرتال واقدم ما وجد من هياكل يعود الى الانسان العاقل وقد اتى من السوية الثلنية من تل المريبط المؤرخة في نهاية الالف التاسع ق.م.

(٢٧) تعمل في حوضة الكوم منذ ١٩٧٨ بعثة فرنسية دائمة بادارة جاك كوفان وتنشر نتائـج اعمالهـــا في مجلــة خاصة تسمى الفــرات : (Cahiers de L'Euphrate) وقد صدر حتــى الان منها اربعة اعداد الاول (١٩٧٨) والثاني (١٩٧٩) والثالث (١٩٨٢) والرابع (١٩٨٦) .

(٢٨) استخدمت لاول مرة طريقة اليورانيوم ثوريوم Ur/Th في تاريخ بعض مواقع الكوم وخاصة بئر الهمل وام قبيبة وام التلال ونشرت النتائج في تقرير مختصر هو :

— Hennig, G.Y et Hours, F., 1982 « Dates pour Le Passage entre L' Acheuléen et Le Paléolithique Moyen à el Kowm (Syrie)» **Paléorient.** 8/1,81-83/ .

(٢٩) — Hours , F ., 1982 « Une nouvelle industrie en Syrie entre L'Acheuléen Superieur et le levalloise - moustérien , Archéologie au levant » **Recueil R. Saidah** 33-46, Lyon, Maison, de L'Orient.

(٣٠) فيما يخص التنوع في اثار الباليوليت يسود الان رأيان الاول يمثله الاثاريون وعلى رأســـهم الفرنسي فرانسوا بورد F.Bordes الذي يعتبر ان تنوع المواقع والاثار يدل على تنوع الجماعات البشرية وتنوع التقاليد والثقافات ، والــرأي الذي يمثلـــه الانتروبولوجيـــون وهـــو يرد هذا التنوع الى اختلاف طبيعــة النشاط الاقتصــادي للناس حســب المناطـــق والفصول : انظر :

— Hours, F., 1982, **Les Civilisations du Paleolithique** , Que Sais-je, Paris .

(٣١) هناك دلائل من خارج قطرنا (فرنسا واسبانيا) على ان النياندرتال عرف لاول مـرة المعتقدات والشعائر الدينية فعبد الدب (الجماجم بخاصة) ودفن موتاه في قبور منتظمة ، وعرف طقوس أكل اللحم البشري (الدماغ) . انظر :

— Leroi - Gouhran, A., 1964, **Les Religions de La Préhistoire,** Paris

(٣٢) نسبـة الى مواقـع Levallois بفرنسا . وتعتمد التقنيـة اللفلوازيـة علـى اختيار نواة بيضوية ورقيقة غالبا ، وتحضيرها بشكل جيد قبل طرق شظية واحدة منها ، أمـا التقنية الموستيرية فهي تستخدم نفس النواة ولكن تستخرج مهنا اكثر من شظية . وقد استخدمت هاتان التقنيتان من قبل انسان النياندرتال بشكل واسع في الباليوليت الاوسط .

(٣٣) لقد طبقت طرق التاريخ بالفحم المشع في جرف العجلة وأعطت تاريخا هو حوالي ٤٢ر٠٠٠ سنة ق.م . للطبقة التي تعود الى نهاية الباليوليت الاوسط . كما ارخت السويات الدنيا في كهف الدوارة في حوالي ٧٥ر٠٠٠ سنة . حول جرف العجلة يمكن الرجوع الى :

— Coon, Ch., 1957, **The Seven Caves,** New York.

— Shroeder, B.,1966 , « The Lithic Material from jerf Ajle » **A.A.A.S,** 16(2)200-210.

واما كهف الدوارة فلقد نشرت في المرجع التالي :

— Hanihara, K. et T. Akazawa . (edi) 1978, Palaeolithic Site of The Douara Cave and The Palaeogeography of Palmyra Basin in Syria Pant 1 1 ; Préhistoric Occurence and chronology in Palmyra Basin) University Museum, **Bulletin of The University of Tokyo.** 16. Tokyo.

(٣٤) — Copeland , L., 1981 « Chronology and Distribution of the Middle Palaeolithic as Known in 1980. in lebanon and Syria » Colloque **Préhistoire du levant,** 239 - 263 . C.N.R.S.Paris.

(٣٥) ان موضوع اختفاء النياندريال ، من اوربة خاصة ، وظهور الانسان العاقل في الشرق الاوسط ، من الامور التي تواجه الباحثين بتعقيداتها وغموضها . ومهما يكن فانه من الواضح الان ان النياندرتال الفلسطيني كان الوحيد الذي تابع تطوره الفيزيولوجي والحضاري نحو الانسان العاقل ، رغم ان هذا الواقع لا يروق للبعض من ذوي الخلفيات العنصرية المرفوضة .

(٣٦) يعتقد ان حضارات الباليوليت الاعلى السوري واللبناني قد اختلفت عن حضارات الباليوليت الاعلى الفلسطيني الذي تميز بكثافة مواقعه . وتعتبر هذه المرحلة من عصور ما قبل التاريـخ السوري المرحلة الاكثر غموضا الان . ونامل ان توضح الدراسات في المستقبل اصل حضارات هذا العصر ، ومن ثم كيفية انتقالها الى العصر الذي تلاه .

(٣٧) حتى منتصف القرن الحالي اعتبرت الشعوب البدائية الحالية التي لا زالت تعيشـــ في اسيا وافريقيا وامريكا كالبوشمن والاسكيمو والهنود الحمر ، موضوعا للمقارنة مع مجتمعات ما قبـل التاريخ . ولكن بدأ يتضح تدريجيا ان مثل هذا القياس الميكانيكي ليس صحيحا دائما ولا بد من

تطبيق مناهج اخرى مختلفة سعيا وراء معرفة الواقع الحقيقي لمجتمعات ما قبل التاريخ التي قد تكون لها تنظيمات ومعتقدات ومفاهيم مختلفة عن تلك التي نعرفها لدى الشعوب البدائية المعاصرة رغم تقارب المستوى الاقتصادي والاجتماعي بينها .

(٣٨) تجري دراسات منوعة لمراكز النطق في الدماغ والفكين ، في الهياكل العظمية العائدة للباليوليت لتحديد درجة تطور لغة ذلك العصر ، ورغم صعوبة التحقق من هذا الامر فهناك مؤشرات على معرفة النطق منذ بداية العصر الحجري القديم دون ان نستطيع تحديد درجة غنى او فقر اللغة ، او اللغات الاولى لدى ذلك الانسان .

(٣٩) نسبة الى موقع مادلين Madeleine في جنوب فرنسا ، وقد عاشت بين ١٥-١٠ الاف سنة ق.م واشتهرت بفنونها الرائعة .

(٤٠) انظر كتاب جاك كوفان عن نشوء القرى الاولى في سورية وفلسطين في المرجع التالي :
J. Cauvin, 1978, **Les Premiers villages de Syrie - Palestine de IXme au VIIme millenaire av.J.C.,** Lyon.

(٤١) نسبة الى مغارة الكبارة على الساحل الفلسطيني (جبال الكرمل) وهي ثقافة ميزوليتية انتشرت على مساحة واسعة من فلسطين جنوبا وحتى الفرات شمالا وتميزت بالبناء والفنون الاولى خاصة .

(٤٢) نسبة الى وادي النطوف في فلسطين . تميزت الحضارة النطوفية بابتكارات جديدة : البناء ، الفن الادوات الزراعية ، الادوات العظمية ، المقابر .. الخ وقد مر زمن اقتصر فيه وجود هذه الابتكارات على فلسطين مما جعل البعض يعتقد ان النطوفي هو حضارة فلسطينية بحتة ، ولكن المكتشفات الاخيرة من المريبط وابو هريرة في حوض الفرات السوري اثبت ان النطوفين قد عاشوا في سورية ايضا ، وقد انتشر هؤلاء على منطقة واسعة امتدت من دلتا النيل في الغرب وحتى الفرات في الشرق . وما استمرار البعض في رفض الاعتراف بالنطوفي خارج فلسطين الا تعصب وعنصرية لاتقرهما الاوساط العلمية .وقد وصف جاك كوفان موقف هؤلاء بالعنصرية الثقافية. انظر المرجع رقم ٤٠ ص ١١ .

(٤٣) يميز الباحثون وعلى راسهم الامريكي المان سرفيس E. Service اربع مراحل اجتماعية ، تطورية المرحلة الاولى ، الجماعة Band وهي تمثل العلاقات الاجتماعية في عصر الصيد واللقط اي الباليوليت ، وجزئيا الميزوليت ، تلتها مرحلة القبيلة Tribe التي تميز مجتمعات الزراعة في العصر الحجري الحديث ، ثم مرحلة الرئاسة Chiefdom التي عرفتها المجتمعات الزراعية المتطورة ، واخيرا مرحلة الدولة State التي نشأت مع المجتمعات التاريخية الباكرة في الالف الثالث ق.م . (عصر البرونز القديم) انظر :
— Redman, Ch., L., 1948, **The Rise of Civlization from Early Farmers to Urban Society in The Ancient Near East,** San Francico.

(٤٤) يقسم الباحثون العصر الحجري الحديث (النيوليت) في الشرق الاوسط الى قسمين لكل منهما ميزاته ، الاول النيوليت ما قبل الفخار Pre - Pottery Neolithic ويرمز له P.P.N. وهو بدوره قسمان : ما قبل الفخار ٢ P.P.N.A ويؤرخ من نحو ٨٣٠٠ - ٧٦٠٠ ق.م . يليه ما قبل الفخار ب P.P.N.B ويؤرخ على ٧٦٠٠ - ٦٠٠٠ سنة ق.م . واما القسم الثاني فهو النيوليت Pottery Neolithic ويؤرخ من نحو ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنة ق.م تقريبا .

(٤٥) تعتبر الزراعة من اهم ابتكارات انسان النيوليت التي احدثت تحولا جذريا في الواقع الاجتماعي الاقتصادي حتى ان البعض G,Childe يسمي هذا العصر بالثورة النيوليتية Neolithic Revolution ويشبهها بالثورة الصناعية الحديثة . وتختلف الاراء حول اسباب وعوامل نشوء الزراعة فمنهم من يرد ذلك الى التحسن المناخي الذي ساعد على ظهور الحبوب البرية وبالتالي دفع الانسان الى رزاعة هذه الحبوب بعد ان توصل الى تقنيات متطورة R. Braidwood ،في حين يعتقد البعض الاخر (بينفورد) ان الزراعة قد نشات بفعل الضغط السكاني على اطراف المناطق الخصبة التي نمت فيها الحبوب البرية ، ويعالج السيد جاك كوفان هذه القضية على ضوء اكتشافاته في حوض الفرات بسورية في بحث متكامل ، وهو رغم اعترافه باهمية دور البيئة فانه يرد نشوء الزراعة الى عوامل اجتماعية ـ فكرية دفعت الناس الى تنظيم اقتصادهم بشكل افضل : المراجع رقم ٤٠و ٤٣ اضافة الى التالي:

— Childe , V.G., 1952, **New Light On The Most Ancient East,** New York .

— Mellart, J., 1975, **The Néolithic of The Middle East,** London.

(٤٦) — Cauvin, J., 1972, **Religions néolithiques de Syrie - Palestine, Paris**

(٤٧) — Akkermans,P.A. et Fokken, H.,Waterbolk, H.T.1981, Stratygraphy, Archtecture and Lay-out of Bougras » colloque **Préhistore du Levant,** 485 - 501 , C.N.R.S. Panis.

(٤٨) هي ما تسمى بالاواني البيضاء ، Vaisselles Blanches التي صنعت من الحوار او الحجر الكلسي الابيض بعد حرقه ومزجه وقد سبقت الاواني الفخارية بحوالي قرنين من الزمن ، وعثر عليها في العديد من القرى النيوليتية السورية والفلسطينية .

(٤٩) عثر في السوية الثالثة من الربيط المؤرخة على النصف الاول من الالف الثامن ق.م. على بضع اوان فخارية صغيرة وهي تمثل أقدم فخار عرف في منطقتنا حتى الان لكن هذا الابتكار (الطفرة)لم يستمر لاسباب نجهلها ولم تعاود المنطقة تصنيع الفخار الا في مطلع الالف السادس ق.م.

(٥٠) منذ الثلاثينات من هذا القرن قام المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بادراة روبرت بريدوود بدراسة شاملة لمنطقة سهل العمق وتم تتبع تطور تصنيع الاواني الفخارية بدءا من العصر الحجري الحديث وحتى العصور التاريخية البيزنطية عبر مواقع عديدة أهمها تل الجديدة ، وتل عطشانة وتل طورلو وتل كردو ، وغيرها ، واصبح التطور الستراتغرافي لفخار العمق النموذج الذي يقاس عليه فخار بقية المناطق حتى الان . وقد نشرت عدة دراسات عن هذا الموضوع اكثرها تكاملا هي:
The Excavation in the plain of Antioch

من منشورات جامعة شيكاغوا المعهد الشرقي العدد ٦١ عام ١٩٦٠ تاليف روبرت وليندابريدوود.

(٥١) نسبة الى موقع تل حلف في الجزيرة السورية العليا قرب راس العين حيث نقب الالماني ماكس فون اوبنهايم Max Von Oppenheim منذ مطلع القرن الحالي وكشف السويات الحلفية العائدة للالفين السادس والخامس ق.م . تحت انقاض مملكة جوزن الارامية التي قامت في هذه المنطقة في بداية الالف الاول ق.م .

(٥٢) يعاصر الفخار الحلفي السوري فخار العمق (المرحلة د.س) المعروف من غرب سورية .

(٥٣) اطلق على هذا النوع الاسم اليوناني tholos وهي بيوت تشبه خلايا النحل ،وجدت نماذجها في جزر بحر ايجة في الالف الثاني ق.م ، واما النوع الذي يعود للحضارة الحلفية فقد عثر عليه في مواقع العربجية في العراق وتل يونس وتل طورلو في سورية . وهناك جدال حول طبيعة هذه البيوت اذ يعتقد البعض انها كانت معابد تمارس فيها الشعائر الدينية ، في حين يرى

(٥٤) فيها اخرون بيوتا للسكن .

Mallowan, M.E. 1956, **Twenty five years of Mesopotamian discovery,** The British school of Archaeology in Iraq .

(٥٥) نسبة الى موقع تل العبيد في جنوب العراق الذي نقب فيه الانكليزي ليونارد وولي في الربع الاول من هذا القرن.

(٥٦) نسبة الى موقع تليلات الغسول في وادي نهر الاردن الذي نقب على فترات متقطعة منذ الثلاثينات من هذا القرن واعطى احد اغنى نماذج الحضارات الكالكوليتية في بلاد الشام ، انظر :

Perrot, J., 1968, **Préhistoire Palestinienne,** Supplément au Dictionnaire de Bible , Paris.

(٥٧) لهذا العصر تسميات مختلفة مثل : عصر الوركاء ، او فجر التاريخ ، او فجر الكتابة او عصر ما قبل العمران Proto - History, Proto-Literate, Proto - Urban ومهما يكن فهو العصر الانتقالي المباشر بين عصور ما قبل التاريخ وبين العصور التاريخية القديمة ..

(٥٨) ادت الحملة الدولية وعملية المسح والتنقيب في حوض الفرات بين ١٩٦٣-١٩٧٣ الى اكتشاف ٥٦ موقعا اثريا من مختلف العصور مهددة بالغمر ، جرت في ٢٣ موقع منها تنقيبات انقاذ بمشاركة بعثات وطنية واجنبية مختلفة ، اعطت نتائج بالغة الاهمية تتعلق بتاريخ وحضارة سورية القديمة .وقد تضمن معرض الاثار السورية المتجول نماذج هامة من اثار حملة الانقاذ وقد صدر عن هذا المعرض حتى الان اربعة كتب (دليل) ترجم منها الدليل الالماني الى اللغة العربية من قبل الدكتور نايف بلوز ونشرته مؤسسة البريد الدولي للصحافة والنشر في فيينا ١٩٨٥ .

(٥٩) — Strommenger, E., 1980,**Habira Kabira, Eine Stad vor 5000 yahren,** Mainz am Rhein.

(٦٠) — Finet, A., 1988, « Bilan Provisoire des fouilles belges de Tell Kannas » **A.A.S.O.R.** 44 .

(٦١) حتى زمن قريب كان يعتقد بوجود مركز واحد انتشرت منه الكتابة التصويرية هو الوركاء (السوية الرابعة ب) في جنوب العراق ولكن بعد اكتشافات تل براك وتل قناص وعروده اتضح ان سورية ايضا قد عرفت الكتابة الاولى في زمن يعاصر كتابة الوركاء وربما اقدم . انظر دليل الاثار السورية (المرجع رقم ٥٨) والمرجع التالي :

eurtis , J., (ed) 1982, **Fifty Years of Mesopotamian Discovery,** pp. 62-71, British school of Archaeology in Iraq, London.

(٦٢) سمي اصطلاحا بمعبد العيون بسبب العثور فيه على مئات الدمى الصغيرة ذات العيون الجاحظة ويعود هذا المعبد الى زمن احدث نسبيا من معابد الفرات الاوسط ، وهو عصر جمدة نصر ، اي نحو مطلع الالف الثالث ق.م. انظر :

— Mallowan, M. E. L., 1947, « Excavation at Brak and Chagar Bazar » **Iraq,** 9,pp. 1-2 66.

(٦٣) يؤرخ الارشيف الملكي في ابلا بين ٢٢٥٠ – ٢٥٠ ٢ق.م . وهي مرحلة ازدهار مملكة ابلا المسماة تل مرديخ ٢ ب (TM II B)

Abbreviations :

— A.A.A.S : Annales Archéologiques Arabes Syriennes .

مجلة سنوية تصدرها المديرية العامة للاثار والمتاحف في دمشق .

— A.A.S.O.R : The Annual of The American School of The Oriental Research (U ew Haven) .

تنويــه :

وقعت بعض اخطاء في طباعة جداول الاحصاءات العائدة لبحث «البنية الاجتماعية والاقتصادية لمحلة باب المصلى» والصواب كما يلي :

الصفحة	السطر	الحقل (من الجداول)	الخطأ	الصواب
١٧	٢	٦	٢١ر٧	١٢ر٧
٢٠	٤	٦	٤٣ر٢٠	٣٤ر٢٠
٢٢	٧	٤	٢١ر٣٨	٣١ر٣٧
٢٣	٣	٦	٢٣ر٢٢	٣٣ر٢٢
٢٣	٦	٤	١١ر٨	٤٠ر٠٩
٢٤	١	٤	١٠ر٤٠	١٠ر٤٢
٢٥	٣	٤	١٨ر٧٨	١٧ر٧٨
٢٥	٤	٢	٣ر٣٣	٣٣ر٣٣

٢٥ ٦ كل الحقول :

العقود	النسبة	القراريط	النسبة	الاثمان	النسبة
١٢	١٠٠ر٠٠	١٣٥	١٠٠ر٠٠	١٧٠٢٨	١٠٠ر٠٠

الصفحة	السطر	الحقل	الخطأ	الصواب
٣٥	٦	٥	١١٤ر٦٩	١١٤ر٧٤

٤٨ السطر الذي يبدأ بكلمة الوسطاني في العينة الخامسة زائد .

٤٨ السطر قبل الاخير : الخطأ : الثالثة والرابعة ، الصواب ، الرابعة والخامسة

٥٨ الحاشية ١٠ ، Thaumin ، الصواب Thoumin

٦٢ الحاشية ٩٨ ، السطر ١١ صوابه كما يلي : العثمانية بموجب العلم والخبر من بطريق خاتة الكتلوك المحفوظ بالمجلس (أي مجلس محكمة
السطر ١٣ من الحاشية : فاضي ، الصواب قاضي